
جمهورية مصر العربية
وزارة الإعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
ذكرى العبور
وتحرير سيناء
السيد فرج

جمهورية مصر العربية
وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات

ذكرى العبور وتحرير سيناء

صفحات مجد وفخار للقوات المسلحة وشعب مصر
بالنضال الذى أملاه الشرف لتحرير أرض الوطن
وإزالة آثار العدوان

تأليف
السيد فرج



الإهداء

إلى ضباط وجنود مصر البواسل

الذين عبروا أهوال القناة وخاضوا سعير حرب أكتوبر

ورفعوا علم مصر فوق ثرى سيناء المخضبة بدماء الشهداء

إليكم باقة من أزاهير أمير الشعراء شوقي :

وَقَفْتُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْحَيَاةٍ
فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا

وَلِلأَوْطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ
يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقٌّ

وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ
بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ

ذكرى العبور
وتحرير سيناء

ان يوم العاشر من رمضان ١٣٩٣ الموافق ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قد دخل التاريخ مع الأيام الحاسمة التى انتصرت فيها ارادة الشعوب الحرة بالنضال الذى أملاه الشرف واقتضاه تحرير ارض الوطن وازالة آثار العدوان .

انه يوم مصر بانطلاقة قواتها المسلحة وصمود شعبها المناضل حتى أنجزت بالقوة والروح أسمى واجب فى تاريخها الحديث .

فى هذا اليوم أسمعت مصر شعوب العالم حقيقة من أهم حقائق العصر هى خطل التوسع على حساب الغير ، وخطر اخضاع البشر بالقوة ، وانه لا سبيل إلى استقرار السلم إلا باقرار العدل واحترام حقوق وحريات الشعوب

لقد لاذت مصر بالصبر والعمل طوال ست سنوات مريرة ، وتحملت أقصى ما استطاعت دعاية العدو أن تلحقه بسمعة مصر ومكانتها الدولية ، وادارت ظهرها للانشغال الكاذب وراحت تركز على دعم جيشها واستكمال تدريبه وتسليحه وتزويده بأحدث متطلبات الكفاية القتالية ، وتنظم شعبها ليوم الخلاص ، وتبذل جهودها فى شتى المجالات العربية والافريقية والدولية لكى يدرك العالم ان مصر ليست محترفة حرب ولكن داعية سلام ، وان اغراضها محددة تماما وواضحة بجلاء : استعادة الارض المغتصبة وحقوق شعب فلسطين المشروعة

وقد وقفت شعوب افريقيا إلى جانب مصر وقطعت علاقتها باسرائيل وأعلنت قرارها فى شتى المحافل الدولية بمعارضة استخدام القوة وجميع اشكال ممارسات الاملاء والقهر فى العلاقات بين الدول .

كما ان عديدا من الدول الاوربية والآسيوية قد طالبت بحل مشكلة الشرق الاوسط حلا عادلا من شأنه ان يضمن السلام فى المنطقة وحق كل شعب فى التطور الحر والاستقلال والازدهار .

وأوضحت دول عدم الانحياز موقفها الثابت من أن التوتر فى الشرق الأوسط يشكل خطرا مستمرا على السلم والأمن الدوليين ، ولهذا فمن الضرورى بذل جهود دائبة من اجل ترسية سلام عادل وثابت فى هذا الجزء من العالم وفى اسرع وقت ممكن وذلك بانسحاب اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها بعد حرب ١٩٦٧ كما ينبغى حل قضية الشعب الفلسطينى بما فى ذلك اقامة دولة فلسطينية مستقلة .

. . ولقد حاولت مصر والدول العربية والافريقية ومجموعة عدم الانحياز طوال ست سنوات ان تظفر بقرار من الامم المتحدة أو مجلس الامن لارباء السلام على الحرب واعلاء الحق على القوة وترجيح العدل على الظلم . . ولكن ذهبت جهودها ادراج الرياح لأن قرارات الامم المتحدة لاتتضمن امكانات التنفيذ ، ولأن قرارات مجلس الأمن يبطلها الفيتو . . !

أما الدولتان العظميان فقد اتفقتا على تهدئة الموقف فى الشرق الاوسط والتزام وقف اطلاق النار . . والحث على « الاسترخاء » ! ؟

وكأنما فرض على مصر ان ترضى بكارثة يونيو ٦٧ وان تضيع الجهود السياسية والمحاولات السلمية هباء ، وأن تبقى قوى العدوان تعربد على أرضها ، وأن تظل القناة مغلقة ومدنها مهجرة . . وأن يتقبل شعبها وجيشها مرارة الهزيمة والاحتلال والضياع ! ؟

ونفدت طاقة الصبر . .

ولم يعد أمام شعب مصر وقواته المسلحة سوى المضى على الطريق الصعب وركوب الخطر وصدم الشر بالشر مهما كانت النتائج وكيفما بلغت التضحيات . . فالشرف يتطلب النضال وتحرير الوطن يستوجب التضحية .

وهذا هو قدر الشعب الحضارى الذى يرفض الاستسلام ، وهذا هو شأن القوات المسلحة الباسلة التى تتأبى الرضوخ . . ولم يعد امام مصر حلا ولا بديلا ولا أمل . . سوى : الحرب

وصدق الشاعر العربى القائل قبل مئات السنين :

وحارب إذا لم تلق إلا ظلامة
شبا الحرب خير من قبول المظالم

مفاجأة عبور القناة
واجتياح تحصينات بارليف

فى خلال سبعة عشر يوما من شهر اكتوبر سنة ١٩٧٣ قامت القوات المصرية بتلك الحملة القتالية التى انتظمت فى عداد الاعمال العسكرية المأثورة فى تاريخ الحروب فضلا عن آثارها البليغة فى منطقة الشرق الاوسط وتأثيرها فى مجريات الأمور العالمية فى هذا العقد .

لقد تقدمت القوات المسلحة المصرية بما لم تتوقعه الدوائر والمجالس فى شتى الدول من انطلاقة جريئة مباغتة لمواجهة العدوان فى أوكاره المنيعة واستحكاماته الحصينة واجلائه عن الارض الغالية التى تمكن منها وطابت له الاقامة فيها على مدى ست سنوات من كارثة يونيو ٦٧

ومن وجهة النظر العسكرية يمكن القول بأن المهمة كانت شاقة وحافلة بالمصاعب ، وأن الاقدام عليها كان محفوفا بالأخطار الجسيمة . . سواء من ناحية الطبيعة أو الاستحكامات الدفاعية أو الأسلحة المتطورة الحديثة التى أرستها اسرائيل فى خطوط متتابعة على ثرى سيناء .

ولعل اكثر انواع الموانع الطبيعية التى تعوق تقدم الجيوش كانت ماثلة بأشد وعورتها فى طريق القوات المصرية وهى تتقدم لمواجهة معركة عنيفة لاجلاء العدو عن مواقعه الحصينة واسترداد الأرض المغتصبة واستعادة الكرامة السليبة

وقد كان على هذه القوات أن تعبر قناة السويس ـ وهى مانع مائى صعب ـ ثم تدك ذلك الحائط الترابى الشاهق الذى أقامه العدو على الضفة الشرقية للقناة ، وبعده تواجه مانعا آخر من الحديد والنار يمثل أحدث وأقوى الاستحكامات الدفاعية التى أسفرت عنها تجارب الحروب العصرية ـ وهو خط بارليف ـ ثم تمضى بعد اجتياحه إلى تيه الصحراء حيث تعاود مواجهة موانع الطبيعة القاسية ثم تشتد الحرب عند منطقة المرتفعات المسيطرة على الممرات .

. . موانع صعبة ، طبيعية وصناعية .

والموانع الطبيعية ـ كما تحدث عنها نابليون بونابرت ـ هى الموانع التى تعوق تقدم الجيوش مثل الأنهار والجبال والصحراء ، وأشد هذه الموانع وأكثرها صعوبة فى معمعات القتال هى الصحراء .

وسواء كان المانع طبيعيا أو عسكريا فانه ليس مجرد حاجز يعطل تقدم الجيش ، وانما هو ـ فى مفهوم الحرب الحديثة ـ مصيدة محكمة قادرة على اصطياد القوات التى تحاول اجتيازها وتجعلها أكثر تعرضا للنيران . . بل ان مرحلة عبور المانع تعتبر مرحلة فقدان توازن تجعل الجيوش فريسة سائغة مكشوفة لنظر العدو ونيرانه المتسلطة والمسيطرة والمكثفة على جميع طرق التقدم .

أما وجهة النظر المعادية فترى استحالة قيام القوات المسلحة المصرية بعبور قناة السويس وكانت تعتبر ان الاقدام على ذلك هو مغامرة انتحارية مقضى عليها ليس فقط بالفشل الذريع وانما محكوم عليها بالموت الزؤام .

هكذا تجمعت جملة من الموانع الطبيعية والتحصينات العسكرية عبر قناة السويس وفوق ثرى سيناء يظللها شبح عدوان غادر أقبل على حين غرة بحديده وناره فى شهر يونيو سنة ١٩٦٧ وأصاب القوات المصرية ومصر كلها بكارثة فظيعة لم يكن احتواؤها ميسورا ولا الخروج من ويلاتها يسيرا .

. . وربما اجتمعت كل هذه العوامل الصعبة لكى يقر فى ذهن العدو انه أصبح بطل الموقف فى سيناء ـ غير منازع ـ وانه صاحب القول الفصل والحكم النهائى فى شأن القوات المسلحة المصرية : إما أن تلزم ثكناتها . . وإما إن تتقدم لحتفها.

لكن القوات المسلحة المصرية كانت تحتفظ بمعنوياتها وتعلم تماما أن خسارة معركة لا تعنى نهاية الصراع ولا ضياع الحق إلى غير رجعة ، فأخذت تداوى جراحها وتستعوض ما فقد من سلاحها وعتادها وتستعيد تنظيمها وتدريبها حتى استكملت أهبتها وأدت حملتها الجسورة لمواجهة الموانع وعبور الأخطار . . ليس لأنها تضمن الفوز ولكن لأنها صاحبة حق . . فلابد من القتال ولا بأس من التضحية . . أو على حد قول أمير الشعراء شوقى :

وقفتم بين موت أو حياة
فإن رمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة يدق

. . وبين الموت والحياة . . ومن اجل الحرية الحمراء تقدمت القوات المسلحة المصرية فور تلقى الاشارة التى طال انتظارها لبدء عمليات حربية هائلة ، وسرعان ما عبرت مانع قناة السويس الصعب واخترقت الحائط الترابى الشاهق الكثيف وواجهت استحكامات « بارليف » المنيعة وانزلت بالقوات المعادية هزيمة مروعة وكبدتها خسائر فادحة فى الأوراح والمعدات . . ثم دخلت فى عمق سيناء وشنت أكبر معركة للدبابات فى تاريخ الحروب . . ونازلت العدو المقتدر فى معترك شديد القوى يأكل فيه الحديد الحديد وتلتهم النيران النيران .

وبغير عبارات عاطفية أو انشائية وبحياد نزيه قال الخبراء العسكريون العالميون رأيهم الصريح فى ذلك العمل العسكرى الرائع الذى قامت به القوات المسلحة المصرية ، والذى لا يبعد أن يكون موضوع الدرس والمراجعة والاعتبار فى المعاهد العسكرية على أنه أحدث تطبيق عملى لمبادىء الحرب ، ولما يمكن أن يتمخض عن تطبيق المبدأ الثامن ـ وهو الروح المعنوية ـ من احداث البطولة والشجاعة فى أشد الظروف الحربية قسوة وضراوة .

لقد استطاعت الخطط العسكرية المحكمة والتطبيق الصحيح لعوامل النصر إلى جانب الشجاعة والحمية ان تقرر نتيجة الحرب ، بل انها غيرت فى موازين القوى حتى شهد بذلك الجنرال بوفر ـ عميد الخبراء العسكريين المعاصرين ورئيس مركز الدراسات الاستراتيجية فى فرنسا ـ فكتب فى تقريره المحايد :

« ان طبيعة الحرب قد تغيرت . .

لقد أصبحت المواجهة ليست فقط بين جيش برى وجيش برى وجوى ، وانما صارت المواجهة بين قوتين حربيتين جويتين .

ولقد أصبح للعرب ـ بعد معركة يونيو ٦٧ ـ روح اثارة وتصميم ، ويبدو ان اسرائيل تعانى « داء المنتصرين » الذين يظنون أن الأقدار فى صفوفهم فلم يحسنوا التمييز بين موقف سابق ، وموقف آخر يجىء فيما بعد . . »

ولقد حدث فى الأيام القليلة التى سبقت يوم ٦ اكتوبر أن تصاعدت حدة التوتر على جميع الجبهات وشملت عدة مواقع ، واشتدت بصفة خاصة فى جبهة قناة السويس ، حتى أذيع أن « القوات الاسرائيلية ترقب بيقظة بالغة النشاط العسكرى المصرى المتزايد على الضفة الغربية ، وانهم قد اتخذوا الاجراءات اللازمة توقعا لأية عملية عسكرية . . »

غير أن وكالات الانباء العالمية قد كشفت عن حالة من الارتباك أصابت اسرائيل يوم ٦ اكتوبر نظرا لتوقف الراديو والتليفزيون وسائر أجهزة الاعلام عن اذاعة أية أخبار بمناسبة الاحتفال بيوم ـ « كيبور » ـ أى الغفران ، وهو من أهم أعيادهم الدينية .

ولم تكف الطائرات الاسرائيلية عن عمليات الاستطلاع بينما كانت الوحدات البحرية تقوم بأعمال الدوريات بل انها عمدت إلى الاحتكاك ولكن دون أن تتوقع المعركة .

وجاء يوم ٦ اكتوبر وانفجر اللغم المختبىء فى وقته المحدد . . فى الساعة الثانية والربع بعد ظهر ٦ اكتوبر أذاعت القيادة العامة للقوات المسلحة البلاغ الآتى :

« لقد أقدم العدو على مهاجمة قواتنا بمنطقة الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس بواسطة عدد من تشكيلاته الجوية ، بينما كانت بعض الزوارق البحرية تقترب من الساحل الغربى ، ولهذا فإن بعض تشكيلاتنا الجوية قامت بقصف بعض قواعد العدو وأهدافه العسكرية فى الأراضى المحتلة . . »

. . وتوالت انباء القتال سريعا وهى تحمل اخبار انتصارات القوات المصرية تحت سمع التاريخ وبصره ، وأمام دهشة العالم شرقه وغربه .

وقد نجحت القوات المسلحة المصرية فى أشق مهمة وأصعب عملية عسكرية وهى عبور قناة السويس بعد عملية اقتحام جريئة مهدت لها بغطاء جوى من نيران المدفعية ووحدات الدفاع الجوى والطائرات قاذفات القنابل ، وقد اذاعت وكالات الانباء ذلك الحدث الكبير ببداياته المثيرة التى دوت فى شتى أنحاء العالم والتى اعتبرت نقطة تحول فى صراع الشرق الاوسط

وكأنما كان العالم مغمض العينين ثم صحا فألفى القوات المصرية على الضفة الشرقية للقناة توطد مواقع أقدامها وترفع علم بلادها .

وفى خلال ساعات تم استيلاء القوات المصرية على الجزء الأكبر من الشاطىء الشرقى للقناة وسقطت جميع نقط العدو الحصينة واستحكاماته القوية .

هذا بينما كانت قوات البحرية المصرية توجه ضرباتها المدمرة لأهداف العدو الأمامية على الساحل الشمالى لسيناء وتعزز بذلك عمليات قوات العبور وتوفر لها حماية جانبها الأيسر .

ولم تستطع قوات الجو الاسرائيلية أن تفيق من المفاجأة قبل أن تكون المقاتلات المصرية قد مرقت فى سماء سيناء لتعطل التشكيلات البرية التى أقبلت فى موجات كثيفة متتابعة ، وبذلك استمر زمام المبادأة فى يد القوات المصرية البرية والبحرية والجوية .

واستمرت المعارك الضارية اناء الليل وأطراف النهار واشتركت وحدات كثيرة من شتى أسلحة القتال بينما استمر تدفق القوات المصرية عبر القناة بعد النجاح الباهر فى اقامة رءوس الكبارى وحمايتها وتعزيز قدراتها.

ولم يمض على بدء القتال اكثر من ١٢ ساعة حتى كان الموقف قد اتضح تماما فقد تمت عمليات العبور وتأمين المواقع على الضفة الشرقية ، ثم استمر التقدم - بعد اختراق الحائط الترابى - إلى المواقع الاسرائيلية الحصينة التى اشتهرت باسم « خط بارليف » التى كانت الدعاية تصفه بأنه لا يمكن اقتحامه « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله »

صدق الله العظيم

ولقد اقتحمت القوات المصرية خط بارليف ودمرت اوكاره المنيعة فى معركة قاسية كثرت فيها الخسائر من العتاد والبشر .



وطارت أنباء الانتصار المصرى الكبير فى أول مراحله الحاسمة بعبور قناة السويس واجتياح خط بارليف ، فاستيقظت عواصم العالم على ما أذاعته وكالات الانباء من نجاح القوات المصرية فى أقوى عملية عسكرية معاصرة بعبور قناة السويس ـ المسلطة عليها عيون ونيران العدو ـ وانها استخدمت بسرية تامة وكفاءة نادرة الجسور التى أقامتها بحذر وحذق ثم أمنتها بقوات ونيران هائلة فتدفقت المدرعات والعربات مدرارا إلى ارض سيناء .

ولعله من أدق التقارير العسكرية عن هذه العملية الباهرة ما ذكره هوارد كولاداى وزير الجيش الامريكى ، بواقع مسئولياته ودقة مركزه :

● « ان عبور القوات المصرية قناة السويس فى مواجهة التفوق الاسرائيلى فى القوة البرية هو علامة بارزة فى الحرب الحديثة سوف تجرى تغييرا فى الاستراتيجية الحربية . .

● ان الحرب فى الشرق الاوسط قد بددت الكثير من الأفكار العسكرية ، فلأول مرة فى التاريخ الحديث تتمكن قوة حربية من انجاز عملية عبور جريئة لقناة السويس ـ التى تماثل نهرا ـ وفى مواجهة عدو مزود بسلاح طيران عصرى . . دون أن تفقد القوات التى عبرت أية طائرة من طائراتها . .

● ان عملية عبور قناة السويس تمت باستخدام الصواريخ الموجهة الحديثة ، وهذا يوضح انه ينبغى ادخال تغييرات فى الاستراتيجية الحربية .

● ان حرب الشرق الاوسط قد أظهرت ضرورة وجود جيش قوى مستعد للقتال ، وقد أوضحت العمليات تماما لماذا نحتاج إلى مثل هذا الجيش .

● ان حرب الشرق الأوسط أوضحت بأنه يجب ان يكون للدولة جيش مستعد ومتدرب تدريبا جيدا ومزود بمعدات تمكنه من ان يردع الأعداء ويؤكد للحلفاء ان تلك الدولة ستوفى بالتزاماتها »

وهذا الكلام من المسئول الكبير والخبير الثقة يؤكد ان عملية عبور القناة تنضم إلى قائمة العمليات العسكرية الكبيرة فى تاريخ الحروب ، بل انها قد أحدثت تطورا بالغا فى مفاهيم الحرب الحديثة واستراتيجيات الدول العظمى .

كذلك سجل « درو ميرلتون » الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط :

« ان الجيش المصرى والجيش السورى قد استعادا شرفهما ، ان القتال الدائر الآن قد احدث تغييرا ـ لعدة سنوات قادمة ـ فى ميزان القوى فى الشرق الاوسط . . ولقد أظهرت الحرب ان العرب قادرون على تشغيل الأسلحة الحديثة والكثيرة التعقيد . .

وأثبتت تلك العمليات ان المصريين قادرون على الابقاء على السر ، وأن فى وسعهم أن يتصرفوا بقوة وحكمة »

أما فى اسرائيل فقد كان عبور المصريين للقناة واجتياح خط بارليف بمثابة ضربة شديدة على الرأس ، ليس فقط بثقل المفاجأة ولكن بضراوة الضربة ، ويرجع ذلك غالبا إلى اساءة الاسرائيليين فهم مصر وعلياء الانسان المصرى وشجاعة المقاتل المصرى .

وإذا كان الحكم ما شهدت به الأعداء ، فيكفى ان نذكر قول الجنرال ديان :

« ان خط بارليف لم يكن سوى قطعة من الجبن الجروبير . . فيه من الثقوب أكثر مما فيه من الجبن » !

أما الدوائر العسكرية التى تابعت أحداث الحرب منذ يومها الأول فقد تكشفت ما كان خافيا من كفاءة القيادة المصرية ، وجسارة الخطة التى أحسنت صنعها ، وبسالة الضباط والجنود الذين نفذوا أصعب عملية عسكرية عصرية فى مواجهة قوات شديدة .

وفى الوقت الذى بدأت قذائف المدفعية تنهال على خط بارليف بعد ظهر أول ايام القتال لم يكن امام القيادة الاسرائيلية سوى وقت قصير لكى تلاحق التيار الزاحف وتقوم بعمل مضاد ، فقد ظلت لفترة طويلة تحت تأثير الدهشة والمفاجأة وتحت مظلة الصواريخ ونيران المدفعية الثقيلة بعيدة المدى عبرت القوات المصرية ثم دعمت مواقعها على الضفة الشرقية وواجهت الاستحكامات المنيعة واستولت عليها خلال ساعات وجيزة .

وفى عبورها للقناة استخدمت القوات المصرية أحدث طراز من جسور الأطواف العائمة مما نم على براعة المهندسين العسكريين ، كما أن خطتهم فى ازالة الحائط الترابى تشهد لهم بالامتياز . . وبهذا تم التمهيد للعبور واقامة رءوس الكبارى ثم الاندفاع على ثرى سيناء لتدمير الاستحكامات وملاقاة الهجمات المضادة . .

وعندما تحركت الدبابات الاسرائيلية فى تلال سيناء الوسطى كانت المدرعات المصرية تنتشر وتستحوذ على المبادأة وتملك حرية التحرك والانطلاق .

ان الحرب فى سيناء لم تكن كما توقع الاسرائيليون ولا كما شاءوا بفضل عنصرى المفاجأة والمبادأة ، ولذلك لم تنجح المحاولات الاسرائيلية فى ايقاف قوات العبور ولا صد مقدمات الهجوم ، اذ استطاعت ٤٠٠ دبابة مصرية ان تنتقل وتتحرك تنفيذاً لخطط الحرب فى سيناء خلال يومين عبر الجسور العائمة والزوارق ، كما تم ربط رؤوس الكبارى فى خط متواصل يقع بين أربعة وتسعة اميال فى عمق وعلى طول الضفة الشرقية ، ومن ثم تتابعت عمليات عبور القوات الرئيسية .

أما الهجمات المضادة ـ التى تولتها الطائرات أو المدرعات ـ فلم تستطع وقف قوات الهجوم التى كانت تتقدم بثبات وعزيمة وفق خطة محكمة تشهد للقيادة المصرية بالكفاءة وبعد النظر . . ثم ان القوات المصرية لم تأخذها نشوة النصر ولم تخرجها عن الطريق المرسوم والمسوم بالاناة وعدم التسرع فى توسيع منطقة العمليات وكان واضحا ان القوات الاسرائيلية عجزت عن الرد وانها منيت بخسائر فادحة . . ومع هذا لم تتحول القوات المصرية عن الخطة الموضوعة واستمرت على ثباتها حتى لا تستدرج إلى فخ مبيت أو مفاجأة لم تستعد لها .

. . ذلك انه لم يكن خافيا على القيادة المصرية ان الخطة المضادة ـ بعد انهيار خط بارليف ـ ستكون اغراء القوات المصرية على التقدم صوب المواقع الحصينة عند الممرات ـ أى خارج مدى الصواريخ ـ ثم يبدأ الهجوم المضاد بحشود وافرة من الطائرات والمدرعات

واذن فقد كانت القيادة المصرية حصيفة فى تقديراتها واعية فى خطتها العملية ومدركة للأخطار وغير راغبة فى مزيد من التقدم دون ادراك ما يقتضيه الموقف وما يتحتم التحوط من ويلاته .

وعند هذه المرحلة التى تم فيها عبور القناة واجتياز خط بارليف كانت الخطة المصرية قد أثبتت نجاحها بجرأة وكفاءة شهدت بهما رئيسة وزراء اسرائيل فقد صرحت بقولها :

« ان الهجوم المصرى يرقى إلى مرتبة الاندفاع الجنونى » . . وكيفما كان المعنى فان الحقيقة التى أدركتها الدوائر العسكرية هو أن القوات المصرية قد أظهرت قدرتها الكامنة ونفذت مبادىء الحرب جيدا ، وأن مصر ـ كما كانت على طول تاريخها ـ قادرة على محو هزائمها واستعادة شأنها . . وأن معركة القناة قد أثبتت قدرة الانسان المصرى على التحمل وبسالة الجندى المصرى فى القتال .

معارك ضارية . . وأسلحة مروعة

اليوم الأول :

فى يوم ٦ اكتوبر ـ ذلك اليوم المشهود فى تاريخ مصر الحديث ـ عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس ـ التى يقف العدو بالمرصاد على شاطئها الشرقى ، ثم اجتاحت تحصيناته المنيعة على ثرى سيناء واشتبكت فى معارك عنيفة لتسترد الحق الضائع وتستعيد الارض المحتلة .

وعندما أفاقت القوات الاسرائيلية من صدمة المفاجأة وقوة الهجوم مما لم تكن قيادتها تتوقعه فقد أسرعت بشن هجماتها الجوية لكى توقف الاندفاع كما عجلت بدفع مدرعاتها فى عمليات هجوم مضاد ولكن تلك المحاولات المرتجلة تكسرت على صخور الصمود وتوقفت أمام قوة النيران . . فلم ينته النهار حتى كانت الخسائر الفادحة فى الأرواح والمعدات والمواقع الحصينة قد كشفت عن العجز والخذلان

اليوم الثانى :

أما فى ثانى أيام الحرب فقد سجلت المحاضر الرسمية نتائج العمليات كما يلى :

١ ـ تدمير محاولتين للتصدى للقوات المتقدمة شرقى القناة ، وأحصيت خسارة العدو بثلاثين طائرة واثنتين وثلاثين دبابة إلى جانب عدد من العربات والجماعات التى وقعت فى الأسر وظهرت على شاشات التليفزيون .

٢ ـ كانت خسائر القوات المصرية ٦ طائرات وعدد من القتلى لايجاوز المائة .

٣ ـ واصلت القوات المصرية تقدمها ـ باصرار ـ فى مواجهة مقاومة عنيفة عبر اجتياز خط بارليف .

وقد شهد المراقبون العسكريون المحايدون وجميع مندوبى وكالات الانباء بالتفوق المصرى ، ولهذا فقد عجلت الولايات المتحدة بطلب عقد جلسة عاجلة لمجلس الامن لبحث وقف القتال ، وقطع الرئيس الامريكى نيكسون اجازته وعاد إلى واشنطون لتكون الجهود الدبلوماسية الامريكية ـ من اجل متابعة تطورات

الله أكبر

عبرنا.. واقتحمنا.. وانتصرنا

الحرب ـ تحت اشرافه الكامل والشخصى ، كما طلب من وزير خارجيته ـ دكتور هنرى كيسنجر الحائز على جائزة نوبل للسلام ـ أن يجرى مشاورات دبلوماسية عاجلة لتقديم الموقف إلى هيئة الأمم المتحدة وطلب عقد مجلس الأمن لتدارك الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط وما قد يجىء به من تطورات خطيرة .

وكذلك أصدرت الحكومة السوفيتية بيانا حملت فيه اسرائيل نتائج القتال الدائر والأحداث المشبّعة بالخطر على السلام العالمى .

اليوم الثالث :
٨ أكتوبر

مع ابتداء اليوم الثالث من أيام القتال بدأت معارك ضارية للدبابات فى ربوع سيناء ، وقد وصفت بأنها أعنف معارك من نوعها منذ الحرب العالمية الثانية .

وقد واصلت القوات المصرية تشتيت الهجمات المضادة واستطاعت أن تتقدم شرقا وتحرز انتصارا باهرا بتحرير مدينة القنطرة الشرقية واستعادة هذه البقعة الغالية من أرض الوطن .

وإذا كان تحرير مدينة القنطرة هو الحدث الكبير فى اليوم الثالث فإن معارك الدبابات كانت قد بلغت أشدها وكانت قمة الصراع الذى اشتد أواره على ثرى سيناء .

وتوالت الانباء بمزيد من خسائر العدو وقد شملت ٢٤ طائرة فانتوم وسكاى هوك و ٣٦ دبابة وهذه أرقام كبيرة على مستوى يوم واحد ، واعترفت الدوائر العسكرية المتابعة لمسيرة المعركة ان نجاح القوات المصرية فى عبور القناة واجتياح خط بارليف وصد الهجمات المضادة قد غير من طبيعة الحرب وجعلها فى ركب القوات المصرية التى جمعت بين الكفاءة القتالية وقوة الروح المعنوية » .

أما بالنسبة للدوائر السياسية فقد أخذ الزعماء فى شتى عواصم العالم يتتبعون باهتمام بالغ أنباء القتال فى سيناء والجولان ويوالون السعى لاجتماع عاجل لمجلس الامن . ولكن لم يتسن اجتماع المجلس نظرأ لاختلاف وجهات النظر فى صياغة وروح المشروعات المقترحة والتى تتطلب موافقة اجماعية .

اليوم الرابع :
٩ اكتوبر

يعتبر هذا اليوم من أشد أيام القتال فى سجل الحرب الرابعة فقد أحرزت القوات المصرية انتصارات بطولية فى تصديها وردها للهجمات المضادة التى قامت بها حشود من المدرعات وكان الصدام شديدا بسبب استبسال الفريقين مما أسفر عن خسائر جسيمة من الطرفين ابتداء من بزوغ أول ضوء فى مطلع الفجر ، ثم أخذ التفوق يظهر واضحا فى الجانب المصرى بينما تعرض لواء الدبابات الاسرائيلى رقم ١٩٠ إلى محنة حولت أغلب مدرعاته إلى حطام ثم استسلم قائد اللواء العقيد عساف ياجورى ومعه مئات من ضباطه وجنوده بعد أن خسر المعركة ثم توالت مع منتصف النهار عدة موجات من المدرعات الاسرائيلية قوامها لواءان ، وسرعان ما حلت بهما خسائر فادحة فارتدا على اعقابهما خاسرين ثمانين دبابة كما جاء فى متابعات وكالات الانباء .

وفى ذات النهار جرت معارك بحرية انتهت باغراق ٥ زوارق اسرائيلية و ٤ زوارق مصرية .

كذلك حدثت معارك جوية كلفت العدو ١٦ طائرة واوقعت فى الأسر ٤ طيارين .

وقد اعلنت وزارة الدفاع الأمريكية بان اسرائيل خسرت خمسين طائرة و ٩٠ دبابة فى خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحرب .

وجاءت الانباء بسلاح عربى جديد يوشك ان يدخل المعركة فقد دعت دولة الكويت لعقد اجتماع طارىء لجميع الدول العربية المنتجة للبترول لاستخدام البترول العربى فى المعركة . . أى وقف تزويد الدول الغربية والصناعية بالبترول !

أما فى مجلس الامن فقد استمرت المناقشات الحامية حول صيغة القرار لمحاولة وقف القتال ، دون ان يصل المجتمعون إلى قرار .

وعندما اراد مندوب اسرائيل فى مجلس الأمن ليبدى الاعتذار عن مقتل عدد من الاجانب الذين لقوا حتفهم نتيجة اغارة الطائرات الاسرائيلية على مواقع مدنية فى سوريا . . انسحب مندوب الاتحاد السوفيتى من الجلسة صائحا :

« اننى لا استطيع البقاء هنا لاستمع إلى عزاء ممثل القتلة وقطاع الطرق » ووصف جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل وموشى ديان وزير دفاعها بانهما : مجرما حرب .

وقال راديو باريس فى مساء ذلك اليوم :

« ان اسرائيل خسرت معركة التصديق » وذلك شجبا لاذاعاتها المختلفة عن سير القتال .

اليوم الخامس :
١٠ اكتوبر

استمرت القوات المسلحة المصرية فى تشتيت الهجمات الاسرائيلية المرتدة التى استخدمت فيها اعدادا جديدة من الدبابات واصبح واضحا ان الهزيمة متواصلة مما احدث اضطرابا شديدا داخل اسرائيل مما دعا إلى اجراء تغييرات واسعة فى اعلى المناصب القيادية العسكرية واستدعاء ستة جنرالات سابقين للخدمة فورا وفى العرف العسكرى ان تغيير القيادة فى ابان المعارك هو علامة اخفاق ومحاولة لتعديل المواقف ، ومعناه ان القيادة السابقة قد ثبت عجزها ودليل ذلك مواصلة الخسائر وتأثير ذلك على الجبهة الداخلية .

وقد تميز اليوم الخامس من أيام القتال بعمليات بالغة العنف فى القطاعين الجنوبى والاوسط ، كما تعرضت الطائرات الاسرائيلية التى اتجهت لضرب المدن إلى خسارة فادحة .

وشهدت المعركة هزيمة الدبابة الامريكية « م ٦٠ » المزودة بمدفع عيار ١٠٥ مليمتر والمصممة بدروع فولاذية والتى لها قدرة على العمل ليلا بالأشعة تحت الحمراء . . فان عددا من هذه الدبابات قد ترك فى ارض المعركة سليما ولاذت اطقمه بالفرار عندما اشتد القتال .

ووضح لكل شاهد عيان أو مراسل حربى هزيمة القوات الاسرائيلية ، وقد كتب « دور ميدلتون » المحرر العسكرى لجريدة نيويورك تايمز :

« ان عجز القوات الاسرائيلية عن زحزحة المصريين من مواقعهم طوال الاسبوع هو اول صدمة بالغة العنف منذ حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ »

ثم جاء فى بيانه :

« لاتزال خطط القوات الاسرائيلية لا تتغير ، فهى تؤثر الاستعراضات الجانبية مثل قصف المناطق المدنية بالقنابل ـ مثلما فعلت بضرب دمشق ـ ومهما كانت الخسائر فانها لا تغير خططها وكان يتحتم شن هجمات مضادة اكثر قوة وعددا »

وكذلك أورد حقيقة ميدانية تؤكد خطأ المزاعم الاسرائيلية عن نجاح قواتها فى قصف وتحطيم رءوس الكبارى المصرية بينما ثبت اخفاقها تماما ، وانها ـ حتى اليوم الرابع ـ كانت تواجه معارك شاقة وهزائم مريرة .

لقد استطاعت القوات المصرية ـ وفق خطتها المرسومة ان تقيم مواقع اطلاق القذائف المضادة للطائرات داخل مناطق رءوس الجسور مما كفل لها غطاء من النيران والصواريخ قضى على محاولات الطائرات الاسرائيلية .

كذلك فإن القوات المصرية ـ فور عبورها القناة ـ لم تتسرع بالاندفاع فى عمق سيناء حتى لاتصبح فريسة لهجمات الطائرات والمدرعات فى فخ الصحراء ، ولكنها اكتفت بتعزيز رءوس الجسور ومواجهة الهجمات المضادة التى كانت متوقعة وفى ذلك قال الجنرال بارليف مساعد رئيس اركان القوات الاسرائيلية :

« ان اسرائيل تخوض الآن اشد الحروب ضرواة منذ سنة ١٩٤٨ وتواجه جيوشا اقوى من الجيوش السابقة تسليحا وعزيمة . . ان خط بارليف قد استولى عليه المصريون بقوة نيران ضخمة وحشود هائلة من الرجال والمعدات . . »

هذا ، وقد بلغ ما انفقته اسرائيل ـ خلال خمسة أيام ـ ١٩٢٠ مليون دولار . . أى أن كل ساعة كلفت اسرائيل ١٠ ملايين دولار .

اليوم السادس :
١١ أكتوبر

وصفت وكالات الانباء معارك الدبابات فى سيناء بانها « اشد معارك للدبابات فى العصر الحديث »

ولكنها لم تكن معارك دبابات وحسب ، فإلى جانب مئات الدبابات والانواع الأخرى من المدرعات اشتركت المدفعية الثقيلة ومدافع الهاون والمشاة الميكانيكية وأسلحة الدفاع الجوى باعداد لم يسبق لها مثيل .

وحاولت اسرائيل ان تجد مخرجا وان تغزو ميدانا آخر غير ميدان الحرب فسلطت طائراتها للاغارة على المدن المصرية واستطاعت ان تصب جام غضبها وانتقامها على مدينة بورسعيد ولكن تلك العمليات البشعة لم ترحم طائراتها وطياريها من السقوط اشلاء أو الهبوط بالمظلات والاستسلام للأسر .

ويمكن وصف اليوم السادس من ايام القتال فى سيناء بانه يوم المعارك العنيفة والقتال الضارى . . أو انه اشد ايام الحرب الرابعة على الاطلاق .

وقد قدرت المصادر الرسمية لهيئة اركان حرب الجيش الامريكى ان خسائر اسرائيل فى الخمسة ايام الأولى بلغت :

١٢٠ طائرة ـ ٤٠٠ دبابة ـ ٣٠٠٠ قتيل

١٠٠٠ أسير (بينهم ٤٣ طيارا ـ ١٥ الف جريح

وسجل ذلك التقرير ان اسرائيل خسرت ٢٠٪ من قوة طائرات الفانتوم .

اليوم السابع :
١٢ أكتوبر

استمرت معارك الدبابات باعداد متزايدة وضراوة بالغة ، وقد تركزت فى القطاع الاوسط ، وكان حطام الدبابات واشلاء القتلى متناثرة على أرض المعركة ، وخسر العدو ـ خلال ثلاث ساعات من ذلك اليوم ٣٢ دبابة و ٢٠٠ قتيل وجريح ، كانت الهزيمة الاسرائيلية واضحة ـ واصيبت قواتها بخلل واضطراب بسبب كثرة الخسائر وفشل الهجمات المضادة ، ولم يتأثر الميدان بما حدث من تغيير فى القادة واستدعاء جنرالات متقاعدين ذوى خبرات سابقة .

وعلى الرغم من ثبات القوات المصرية فإن قياداتها قد التزمت بالخطة دون اى تجاوز أو تغيير ، ولم يستخفها النصر الذى احرزته فى الأيام المنقضية ولم تحاول التظاهر باكتساب متسع من الأرض اذ أن الهدف الحقيقى هو احباط جهد العدو ، وحرمانه من احراز اى تقدم ، وبذلك استقر هدفها عند مواجهة الهجوم المضاد واحباطه وزعزعة ثقته واضاعة امله فى تغيير مجرى الحرب ، وايضا للضغط على اعصابه وتشتيت معنوياته حتى يرتضى حلا سلميا بدلا من مواصلة القتال .

وقد وصف مراسل حربى حقيقة الموقف بقوله « ان القوات المصرية قد امسكت بقيادة العدو وهى « عارية » . . ان عبور القناة فى سرية وسرعة خاطفة واحتلال خط بارليف ثم الاندفاع بجسارة قد الحق باسرائيل هزيمة مفزعة كتلك التى حدثت للاسطول الأمريكى فى المحيط الباسيفيكى (الهادى) عندما انزلت به القوات اليابانية ضربة قاصمة على حين غرة فى فاتحة الحرب العالمية الثانية » اى ان اسرائيل قد تلقت ضربة « بيرل هاربور » جديدة !

ولكن فات المراسل ما هو جدير بالذكر والتنبيه فان ما قامت به القوات المصرية هو عبور قناة مصرية واستعادة ارض مصرية ، وذلك يختلف عن عملية الضربة اليابانية لبيرل هاربور اذ انها كانت تحمل الخداع والعدوان .

أما ردود الفعل فى شتى عواصم العالم فكانت اجماعا على التعاطف مع موقف مصر فى نضالها لاسترداد ارضها المحتلة ، ولذلك فان رئيس وزراء بريطانيا قد اعلن ان قرار مجلس الامن ٢٤٢ ينبغى ان ينفذ بحذافيره وان تتخلى اسرائيل عن اراضى الغير التى احتلتها ، كذلك قال رئيس وزراء فرنسا « انه لا يمكن معاتبة العرب إذا تحركوا لاستعادة اراضيهم المغتصبة » وهدد وزير الدفاع السوفيتى داعيا قوات حلف وارسو ان تكون على اهبة الاستعداد . . وقال وزير خارجية الولايات المتحدة « ان الموقف متفجر إلى حد خطير قد يفلت معه زمام الأمور » ثم اشار إلى التهديد الذى صدر عن موسكو قائلا : « ان الولايات المتحدة سوف تتخذ موقفا حازما ازاء تصرفات الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط إذا شعرت ان هذه التصرفات تتعارض مع الاتفاقيات التى من شأنها ان تخفف حدة التوتر »

أى ان الخلاف صار واضحا بين القوتين العظميين إلى درجة التمهيد والاستعداد لاستخدام القوة .

اليوم الثامن :
١٣ أكتوبر

استمر القتال بجميع الاسلحة التى اكتظ بها ميدان المعركة ، وتميز اليوم الثامن بدخول قوات اردنية إلى جانب القوات السورية ، كذلك وحدات من القوات المغربية والعراقية والسعودية .



قوات المشاة تتقدم لاقتحام استحكامات بارليف

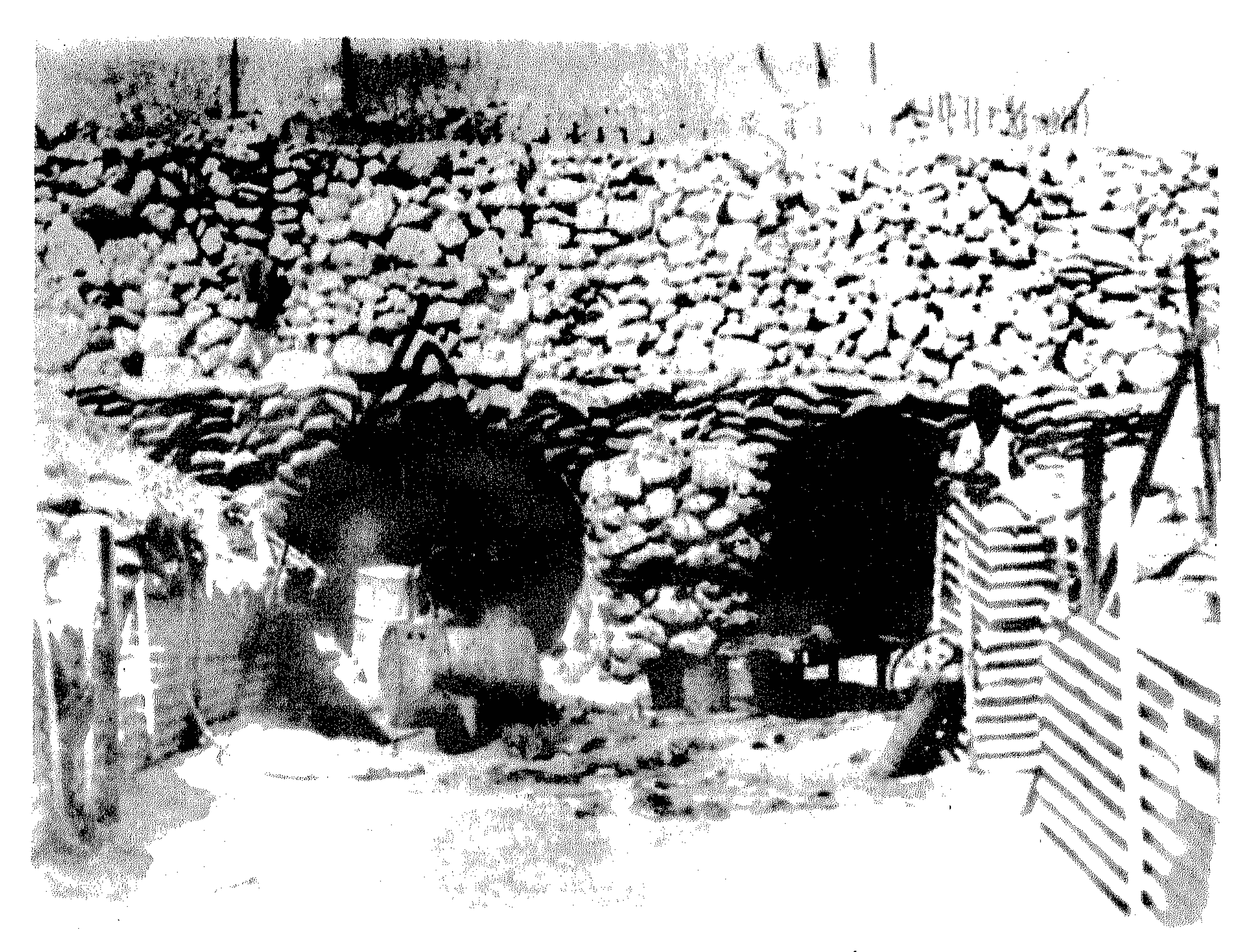
وتتابعت معارك الدبابات بغير هوادة وظهرت جدوى الصواريخ التى يحملها الجنود لاصطياد المدرعات أو لمواجهة الطائرات . . بالتوجيه الالكترونى .

اليوم التاسع :
١٤ أكتوبر

واصلت القوات المسلحة المصرية صمودها واستنزافها للهجمات الاسرائيلية المضادة واسفر القتال عن تدمير ١٥٠ دبابة كما أن المعارك الجوية بالطائرات والاسلحة الصاروخية اسقطت ٢٩ طائرة .

وكان من احداث هذا اليوم مصرع الجنرال الاسرائيلى « ابراهام مندلر » قائد سلاح المدرعات فى سيناء .

وقد عقب الجنرال « هرتزوج » على احداث اليوم التاسع بقوله :
« ان كافة الدلائل تشير إلى اننا اصبحنا الآن فى مرحلة حرجة »
وقال الجنرال ديان ناطقا بحقيقة الحال :



وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله (صدق الله العظيم)

« ان اسرائيل تخوض حربا لم تحارب مثلها من قبل »
« هذه حرب صعبة . . معارك الدبابات قاسية . . ومعارك الجو قاسية »
« انها حرب ثقيلة بأيامها . . غزيرة بدمائها »
« وليس امامنا الا ان نقاتل بقلوب كسيرة . . »

ثم اعلن الجنرال ديان ـ كوزير دفاع اسرائيل ـ مسئوليته عن كل ما حدث .

اليوم العاشر :
١٥ أكتوبر

اشتد القتال فى سيناء على جبهتين :
ـ قتال بالمدرعات فى القطاع الشمالى
ـ قتال خاطف لوحدات الكوماندوز (قوات الصاعقة) خلف الخطوط وهذا هو

ما سبق ان اذاعته وكالات الانباء عن (التنوع) فى الاساليب القتالية وعن غزارة قوات القتال سواء فى عدد الطائرات أو المدرعات أو المشاة . . وكذلك مواصلة تجدد القتال وانتقال ثقله من موقع إلى آخر متضمنا ضربات مفاجئة توجهها القوات الخاصة فى امكنة وازمنة غير متوقعة .

والثابت أن القوات المصرية ـ وان كانت تمارس التنوع فى عملياتها ـ لم تخرج عن الخطة المرسومة ، فالهدف بعد عبور القناة واحتلال خط بارليف اصبح مواجهة الهجوم المضاد واستنزاف قوى العدو من غير تسرع إلى الاندفاع للامام ولا محاولة التوسع فى حيازة الأرض . . وبهذا لم تتورط فى عملياتها ولم تقع فى « فخاخ » أو مراكز حرجة يصعب الخروج منها .

وقد احسنت القوات المصرية فى توفير دفاع جوى قوى متماسك للسيطرة على اجواء المعركة ومؤازرة القوات البرية ، كذلك اجاد المصريون استخدام طائرات معقدة مثل ميج ٢١ وصواريخ ارض / جو والمدفعية المضادة للطائرات (رباعية المواسير) إلى جانب شبكة رادار وانذار عالية الكفاءة .

ولهذا فان اسرائيل قد خسرت ـ حسب تقدير المخابرات الامريكية ـ ثلث قواتها الجوية خلال العشرة ايام الاولى فى معركة سيناء .

اليوم الحادى عشر :
١٦ اكتوبر

مع مواصلة القتال بين القوات البرية بتراشق الدبابات والمدفعية ، فان اليوم كان يوم القوات البحرية التى نشطت فى مهاجمة وحدات العدو على مياه البحر الأبيض والبحر الأحمر .

وقد قامت مجموعة من القوات البحرية بقصف مواقع العدو على الشاطىء الشرقى لخليج السويس وكبدته خسائر فادحة فى المعدات والارواح

كذلك قامت وحدات اخرى بقصف مناطق العدو الادارية فى « رمانة » ـ على الساحل الشمالى لسيناء ـ فاشعلت فيها النيران وكبدتها خسائر جسيمة وعندما حاولت تشكيلات معادية الاقتراب من شواطىء الدلتا فقد تصدت لها وحدات

بحرية ـ بمعاونة جوية ـ ودمرت ٤ زوارق وردت باقيها مبتعدة عن اهدافها وقامت وحدات الدفاع الجوى ـ بمعاونة الطائرات ـ بصد هجمات الطائرات المعادية التى قدمت فى طلعات متتابعة ، واسقطت ٣٤ طائرة .

واستمر القتال بالدبابات فى القطاع الاوسط ، وتم تدمير عدد كبير من مدرعات العدو ، بينما اصابت الطائرات اهدافها المعادية فى ذلك القطاع .

وانتهت المعارك الجوية فى هذا اليوم بسقوط طائرتين مصريتين واستمرت محاولات العدو فى ايجاد ثغرة ينفذ منها عبر البحيرات المرة إلى غرب القناة فقاومتها وحدات الدفاع الجوى ومعارك الطائرات .

اليوم الثانى عشر :
١٧ أكتوبر

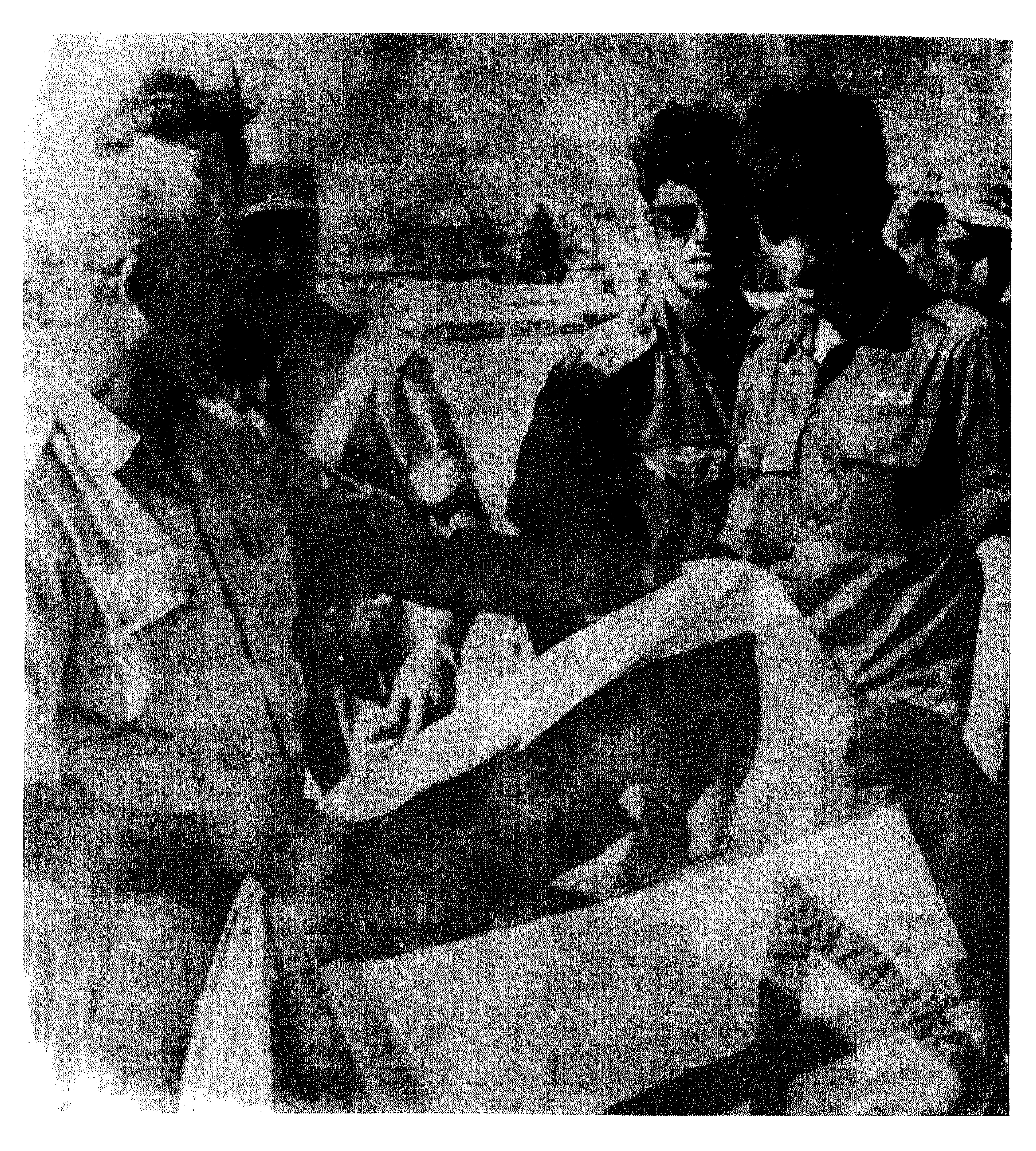
استمرت معارك الدبابات التى وصفت بأنها أقوى معارك الحرب الرابعة فى سيناء وأشتد القتال على طول خط المواجهة بضراوة بالغة ، ودفع الاسرائيليون بمزيد من قوات الاحتياط إلى المعركة لتعويض الخسائر الجسيمة ، وخاصة فى القطاع الأوسط

واشتركت المدفعية والطائرات فى معاونة القوات المدرعة وتبادل الطرفان قصف مناطق حشد الدبابات والعربات ذات الجنازير وتواصل القتال آناء الليل واستطاعت قوات اسرائيلية ان تتسلل إلى الضفة الغربية فى ستار قتال جوى عاصف

وقالت المصادر الاسرائيلية :

« ان معركة مدرعات رهيبة تدور فى سيناء وقد ألقى الجانبان فيها بقوات كثيفة من جميع الاسلحة وان اسرائيل تحاول الافلات من دائرة الخطة المصرية التى ترمى إلى اجبار القوات الاسرائيلية إلى موقف المواجهة فتحرمها القدرة على المناورة . . »

ولقد تمكنت قوات اسرائيلية من الافلات من المراقبة وشقت طريقها عبر القناة واسرعت فى اتجاه السويس رغم المقاومة التى اعترضت طريقها .



الأسرى الاسرائيليون يشهدون اسقاط العلم الاسرائيلى من أجواء سيناء

اليوم الثالث عشر :
١٨ أكتوبر

اشتدت معركة الدبابات التى وصفتها الدوائر العسكرية بانها « اكبر صدام للدبابات فى تاريخ الحروب »وكان ثقل المعركة فى القطاع الاوسط حيث تجمعت على الجانبين حشود من الدبابات تزيد عددا عن كل ما استخدم فى معارك العلمين أو ستالينجراد خلال الحرب العالمية الثانية . . وقدرت مصادر تل ابيب عدد الدبابات بألفى دبابة .

وصدر بيان عسكرى من القيادة المصرية هذا نصه :
« لايزال القتال دائرا بين قواتنا وقوات العدو المدرعة بعنف شديد فى القطاع الأوسط من الجبهة ، وقد نجحت قواتنا ـ بمعاونة القوات الجوية وقصف المدفعية ـ فى انزال خسائر »

ومن الناحية الأخرى صدر بيان من الجنرال اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلى ان « اسرائيل تركز الآن على سيناء »

وقال كبير معلقى راديو اسرائيل :

« ان معركة الدبابات التى تدور منذ ايام فى سيناء هى أكبر معركة دبابات عرفها العالم »

. . ومع اشتداد المعارك الحربية فى جبهات القتال فقد تزايدت الجهود الدبلوماسية فى شتى عواصم العالم ، وجاء القاهرة « اليكسى كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفييتى حيث أمضى ثلاثة أيام فى مباحثات هامة قال عنها وزير خارجية بريطانيا انها « رحلة سلام »

وقد جرت اتصالات هامة وعاجلة بين الدول الكبرى فى محاولات لوقف اطلاق النار

اليوم الرابع عشر :
١٩ أكتوبر

استمر القتال العنيف على طول المواجهة وبأقصى ما يملكه كل فريق من جميع انواع الاسلحة واكبر حشد من الرجال ، حيث بلغت المعركة ذروتها والقى فيها

الطرفان بكل ما يملكان من قوات واسلحة ونيران فى قتال متواصل وتضحيات بغير حدود

وبدأ المراقبون يحسبون بالساعات نتائج المعركة ، كذلك كان رجال الدبلوماسية يبذلون جهدا ويسابقون الوقت لتدارك الموقف وكانت الولايات المتحدة قد اعلنت صراحة انها تحاول انقاذ اسرائيل وتعويضها عن خسائرها ، وطلب الرئيس نيكسون من الكونجرس الموافقة العاجلة على اعتماد برنامج جديد من المساعدات العسكرية لاسرائيل يصل فى مجموعه إلى (٢٢٠٠ مليون دولار) حتى يفى بالتزامات امريكا فى الشرق الأوسط ويحفظ توازن التسلح فى المنطقة .

وقال نيكسون :

« ان نفقات تعويض اسرائيل عن خسائرها فى السلاح والعتاد عالية جدا ، وان الحكومة الامريكية تكبدت ما قيمته ٨٢٥ مليون دولار من الاسلحة والعتاد لاسرائيل خلال الاثنى عشر يوما الاولى منذ بدء القتال »

هذا وقد تضمنت شحنات الاسلحة والعتاد الأمريكى لاسرائيل كميات هائلة من الذخائر وصواريخ جو/جو وصواريخ ارض/ارض ومدفعية ثقيلة واجهزة للطائرات المقاتلة كذلك تضمنت الصفقة امدادات لتعويض خسائر اسرائيل من الدبابات والطائرات والاجهزة اللاسلكية وغيرها من العتاد العسكرى الذى فقدته اسرائيل فى معارك سيناء .

وهذا كله ـ الذى قدمته الولايات المتحدة لاسرائيل فى شهر اكتوبر ٧٣ يعادل ضعف ما حصلت عليه منذ اعلان قيامها . . اى خلال ربع قرن من الزمن !

وقد اذاعت وكالات الانباء تفاصيل تلك الصفقة الهائلة التى قدرت بمبلغ ٨٢٥ مليون دولار قوامها قاذفات مقاتلة ودبابات ومدفعية وصواريخ وقنابل « سمارت » المجهزة بعدسات تليفزيونية

كما تضمنت دبابات (م ٦٠) وصواريخ (مافريك) الموجهة تليفزيونيا ، وقنابل (وول آى) وصواريخ (تاو) المضادة للدبابات

كل هذا ـ وغيره مما خفى ـ منحة لأن حجم القتال يفوق قدرة اسرائيل على تحمل نفقاته وان امريكا لا يمكن ان تتخلى عن اسرائيل ، ولا تسمح بان يختل التوازن العسكرى ضدها !

اليوم الخامس عشر :
٢٠ أكتوبر

بلغت معركة الدبابات اشدها واقتربت من نهايتها التى يترقبها العالم بانتباه شديد والتى يتوقف عليها مصير الحرب الرابعة .

ان المعركة فى سيناء قد اشتملت على اكبر حشد عسكرى لدى الطرفين بين جميع الاسلحة والمركبات المتطورة ـ وكأنها ميدان تجارب حديثة ـ واتسمت بالقتال الضارى المتمثل فى قوة النيران وكثافة الحشود وكثرة الخسائر .

وفى الوقت ذاته كان القتال الذى جرى مؤخرا عبر الضفة الغربية قد أخذ يثير ضجة عالمية . فقد كانت الحركة التى وصلت بها القوات الاسرائيلية إلى ثغرة فى الخطوط المصرية فعبرت القناة عامدة إلى الضغط على القوات المحاربة فى سيناء ولقهر الروح المعنوية بتهديد مصر من الداخل .

اليوم السادس عشر :
٢١ اكتوبر

اصبح القتال فى جبهتين :

شرق القناة ، فى سيناء حيث تتواصل معارك الدبابات والمشاة ، غرب القناة حيث تسللت القوات الاسرائيلية وأرست قواعد ودفاعات ، وأُخذت تتقدم لتطويق السويس مما شكل خطرا بالغا واحدث انقلابا فى الموقف ونقل النصر من جانب إلى الجانب الآخر .

واذاع المتحدث العسكرى المصرى ـ اللواء عز الدين مختار ، وهو يقدم صورة كاملة للموقف يوم ٢١ اكتوبر فى مؤتمر صحفى شهده أكثر من ٢٠٠ مراسل اجنبى :

أولا : عن جبهة سيناء :
ان معركة الدبابات التى بدأت فى سيناء منذ يوم الأربعاء الماضى سوف يكون لها تأثير كبير على نتيجة الحرب ، بوجه عام .

ان خطوط القوات المصرية متماسكة تماما ، وممتدة من البحر الأبيض المتوسط فى الشمال إلى خليج السويس فى الجنوب بعمق يتروواح بين ١٥ ، ١٧ كيلو مترا شرقى القناة ، وبطول الجبهة كلها .

ان القيادة المصرية لا تعلن عن عمليات قواتها الخاصة المدربة تدريبا ممتازا ، وهذه القوات تقوم بعمليات فى عمق العدو وفى مواقع كثيرة من سيناء ، غير ان الاعلان عن تلك العمليات قد يفشى طريقة عملها وأسلوبها ، وسوف يأتى الوقت المناسب للتحدث عن بطولاتهم .

ان خسائر العدو ـ حتى وقت عقد المؤتمر الصحفى ـ تقدر فى الافراد بالالاف بين قتيل وجريح ، وكانت اجهزة المخابرات الامريكية قد قدرتهم منذ ستة أيام بحوالى ثلاثة الاف . وذلك بالاضافة إلى عدد كبير من الأسرى فى ايدينا يجرى حصرهم الآن ، وبينهم طيارون وضباط .

. . كذلك خسر العدو : ٣٠٣ طائرات مقاتلة وقاذفة
٢٥ هليوكبتر
٦٠٠ دبابة
٤٠٠ عربة مدرعة
٢٣ قطعة بحرية

ثانيا : عن مغامرة الدفرسوار :

حاول العدو أكثر من مرة أن يخترق مواقع الجيش الثانى فى سيناء إلى ضفة القناة ولكن محاولته تحطمت وتكبد فيها خسائر فادحة . .

وبالنسبة للنشاط الدبلوماسى العالمى لانهاء القتال ، فقد ابدى اعضاء مجلس الامن اهتماما متواصلا تمثل فى اتصالات ولقاءات وتصريحات فى لندن وباريس وموسكو وواشنطون وخاصة بعد عودة رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى من زيارة القاهرة ودعوة وزير خارجية امريكا لاجراء محادثات فى موسكو للتقدم بمشروع قرار مشترك لوقف اطلاق النار واجراء تسوية سلمية .

اليوم السابع عشر :
٢٢ أكتوبر

استمر القتال بعنف فى سيناء وبلغ المجهود الحربى اقصاه ، وقدم جيش مصر خير ما عنده وهو يدفع العدو بصبر وجسارة ويحطم هجماته المتتابعة .

وتميز هذا اليوم ـ منذ الصباح ـ بعمليات حربية شاملة بالدبابات واسلحة الدفاع الجوى ، بينما اشتركت فى المعركة القاذفات المقاتلة الثقيلة وصدر البلاغ العسكرى المصرى كالآتى :

١ ـ استمرت معارك الدبابات دائرة بعنف فى منطقة المحور الأوسط والدفرسوار وقد قامت تشكيلاتنا البرية بهجمات مضادة ناجحة ضد قوات العدو المبعثرة فى اماكن متفرقة من جبهة القتال كما احبطت الهجمات التى قام بها العدو ضد قواتنا . .

واسفرت اعمال قواتنا بعد ظهر أمس عن تدمير ٤٠ دبابة للعدو علاوة على كثير من عرباته الادارية .

٢ ـ حاولت طائرات العدو قصف مواقعنا وإخلاء خسائره فى منطقة الدفرسوار فأسقطت وسائل دفاعنا ١٤ طائرة من بينها طائرة استطلاع الكترونى و ٥ طائرات هليكوبتر .

٣ ـ فى البحر الأحمر حاولت مجموعة من وحدات العدو البحرية الخاصة (الكوماندوز) الاقتراب من الشاطىء فاشتبكت معها عناصر من بحريتنا ومدفعيتنا ودمرت زورقين واستولت على زورق وأجبرت الباقى على الانسحاب .

كما حاول العدو دفع بعض افراده من الضفادع البشرية نحو احدى قطع اسطولنا البحرى وقد تم اكتشافهم وتدميرهم جميعا وانتشلت جثث بعضهم

٤ ـ دمرنا للعدو ٩ طائرات ووقع فى الاسر ٣ من الطيارين وأصيبت اربعة من طائراتنا وتمكن ٣ من طيارينا من الهبوط فى مواقع قواتنا سالمين .

وبينما كان القتال على هذا النحو الوارد فى البلاغ الرسمى استطاعت الجهود الدبلوماسية أن تصل إلى غايتها . . وقد توصلت الدولتان العظميان على اتفاق فيما بينهما لتقديم مشروع إلى مجلس الأمن لوقف اطلاق النار واجراء تسوية سلمية .

وأصدر مجلس الأمن قراره باجماع الآراء ـ عدا مندوب الصين الذى امتنع عن التصويت ـ واستجابت الأطراف المتحاربة لقرار المجلس وتوقف القتال على طوال المواقع فى الساعة ٦,٥٢ مساء الاثنين ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ .

وقف اطلاق النار

لعل أهم الاسئلة التى دارت بخلد الكثيرين عقب معركة اكتوبر هى :

● لماذا وافقت مصر على انهاء الحرب ووقف اطلاق النار .

● لماذا وافقت وقد نزلت إلى الميدان راغبة فى استعادة الكرامة واسترداد الأرض بعد أن اخفقت المحاولات السلمية على مدى ست سنوات ؟

● لماذا وافقت وقواتها فى ذروة المعركة وقمة الحماسة وروعة الأمل ووهج النصر ؟

لقد اذيع فى يوم ٩ نوفمبر ١٩٧٣ النص الكامل التالى للاتفاق الذى أبلغه وزير خارجية الولايات المتحدة إلى السكرتير العام للامم المتحدة من أجل تثبيت وقف اطلاق النار . . فهل كان ذلك الاتفاق وافيا بالغرض محققا للرجاء ؟ :

١ ـ توافق مصر واسرائيل على الاحترام الدقيق لوقف اطلاق النار الذى أمر به مجلس الامن .

٢ ـ يوافق الطرفان على مناقشة موضوع العودة إلى مواقع يوم ٢٢ أكتوبر فورا ، فى اطار الموافقة على الفصل بين القوات المتحاربة ، وذلك تحت اشراف الأمم المتحدة

٣ ـ تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات من الغذاء والماء والدواء ، ويتم ترحيل جميع الجرحى المدنيين عن مدينة السويس .

٤ ـ يجب ألا تكون هناك أى عقبات امام وصول الامدادات غير العسكرية إلى الضفة الشرقية .

٥ ـ نقط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة / السويس تستبدل بنقط مراقبة من الأمم المتحدة فى نهاية طريق السويس ، ويمكن لضباط اسرائيليين الاشتراك مع الامم المتحدة فى الاشراف على ان الامدادات التى تصل إلى القناة تكون ذات طبيعة غير عسكرية .

٦ ـ بمجرد تولى الأمم المتحدة نقاط المراقبة على الطريق القاهرة / السويس يتم تبادل جميع الأسرى بما فيهم الجرحى .

وقد اعلن الميجر جنرال « انزيو سيلاسفو » ـ قائد قوات الطوارىء الدولية التابعة للأمم المتحدة ـ بدء تنفيذ البنود الستة للاتفاق الخاص بوقف اطلاق النار وذلك فى يوم ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

وبدأت المحادثات عند الكيلو ١٠١ ـ على طريق القاهرة / السويس الصحراوى ـ تحت اشراف الامم المتحدة بين الجانب المصرى برياسة « اللواء » عبد الغنى الجمسى ، والجانب العسكرى الاسرائيلى برياسة الجنرال هارون ياريف .

ثم وجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى الدعوة إلى عقد « مؤتمر السلام » ـ الذى تقرر عقده فى « قصر الأمم » بمدينة جنيف بسويسرا ـ فى شهر ديسمبر ١٩٧٣ إلى كل من مصر وسوريا والاردن وأسرائيل ، على أن يحضر هذا المؤتمر السكرتير العام للامم المتحدة ومندوب عن الولايات المتحدة الأمريكية ومندوب عن الاتحاد السوفييتى .

كان السؤال ـ كما قدمنا ـ لماذا وافقت مصر على الهدنة مع اسرائيل وهى تعلم ان نقض الهدنة وارد ، وان المفاجأة بالعدوان قد تحدث فى أى لحظة ؟

ولكن الهدنة ـ من وجهة النظر العسكرية ليست شرا دائما ، كما أن قبولها من أحد الجانبين لا يعنى انهزاما ولا ضعفا ولااضطرارا فى كل مرة كما قد يتبادر للاذهان

وإذا ما أتفق الطرفان المتحاربان على وقف اطلاق النار فيما بينهما ، أو بتدخل اطراف اخرى وسيطة ، أو بقرار من هيئة دولية مختصة فان ذلك قد يؤدى إلى حل سلمى يرضى الطرفين أو يحصر النزاع حتى لاتنداح دائرته ويتزايد خطره

ان السعى إلى السلم يبقى دائما ماثلا فى الاذهان رغم اشتداد المعارك ، كما ان الرغبة فى حقن الدماء كثيرا ما تحرك الافراد والحكومات إلى ارباء الحلول السلمية عن مواصلة القتل والدمار .

وقد يتم الاتفاق على وقف القتال لمدة محددة من اجل اعتبارات انسانية ، مثل سحب جثث القتلى أو نقل الجرحى أو تبادل الأسرى

كما انه قد يكون الاستمرار فى الحرب خطرا على السلم العام فيتسع نطاق الحرب ويقضى الى مأساة عالمية .

وعلى أى حال فإن وقف اطلاق النار هو اجراء مؤقت يمكن توقى اخطاره بشدة الحذر ومضاعفة الاستعداد ، كما قد يكون بشير خير إذا صدقت النيات وتحققت العدالة .

اعنى أن وقف اطلاق النار ليس حكما على فريق ضد فريق ، ولاهو دليل قوة فى جانب وعلامة ضعف فى جانب آخر ، وانما هو مجرد مهلة تعيد فيها الاطراف تقدير الموقف ومراجعة الحلول المتاحة . . فإما اتجاه إلى السلم واما عودة إلى القتال .

والواقع ـ الذى لا مراء فيه ـ هو ان منطقة الشرق الاوسط منطقة حساسة تتصادم فيها مصالح الدولتين العظميين فضلا عن اهميتها للعالم كله من نواح عديدة وخاصة قناة السويس ثم البترول العربى . . ولذلك فإن الصراع العربى الاسرائيلى الذى تواصل على مدى يقرب من اربعين سنة كان بمثابة بركان لا يتوقف انفجاره على الطرفين المتنازعين ولكنه يصيب اطرافا اخرى عديدة . . بل انه قد يتسبب فى تأجيج حرب عالمية ثالثة .

ولذلك تدخل الاتحاد السوفيتي وتدخلت الولايات المتحدة ، وتعرض العملاقان النوويان لخطر الصدام . . ثم عملا على تجنب الخطر واتفقا على العمل معا لوقف الحرب وعقد مؤتمر دولى للسلام . .

وقد اجتمع مجلس الامن يوم ٢١ أكتوبر ٧٣ بناء على دعوة مشتركة عاجلة من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى لمواصلة بحث الموقف الملتهب فى الشرق الأوسط ، ووافق المجلس بأربعة عشر صوتا ضد لاشىء ـ اذ امتنعت الصين عن التصويت ـ على وقف اطلاق النار والانهاء الفورى لكل نشاط عسكرى فى مدة لا تتجاوز ١٢ ساعة بعد لحظة صدور القرار ، وأن يثبت كل طرف فى المواقع التى يشغلها دون اى تحرك .

كذلك اشتمل القرار على بدء المفاوضات بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ، انطلاقا من القرار رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ وقد قبلت مصر ، وقبلت اسرائيل قرار وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٦,٥٢ مساء يوم ٢٢ أكتوبر .

ولكن . . حدث ما كان متوقعا !

فقد استمرت اسرائيل فى عدوانها وتجاهلها بقرار وقف اطلاق النار الذى وافقت عليه قبل ساعات . . وواصلت عملياتها العسكرية فى القطاع الجنوبى من الجبهة فى غربى قناة السويس وشرقها ! ؟

. . وعاد مجلس الأمن إلى الاجتماع وأصدر قرارا جديدا يوم ٢٣ أكتوبر بوقف اطلاق النار وايفاد مراقبين من الأمم المتحدة لضمان تنفيذه مع العمل على عودة القوات إلى المراكز التى كانت تحتلها لحظة اعلان القرار الاول .

وإذا عدنا للسؤال الذى بدأ به هذا الفصل عن اسباب قبول مصر لوقف اطلاق النار ، فاننا لا نجد أفضل من الرجوع إلى التفسير الذى اعطاه المسئول الأول ، وهو الرئيس الراحل انور السادات . . الذى أوضح سبب قبوله فى مؤتمر صحفى كبير عقده يوم ٢٦ أكتوبر . . قال :

أنا قبلت مشروع وقف اطلاق النار لسببين :

السبب الأول : هو ان هذا المشروع يتم بضمانة القوتين الكبار على وقف اطلاق النار على خطوط يوم ٢٢ أكتوبر وفى البند الثانى نص على تنفيذ القرار ٢٤٢ فورا . . واللى اول شىء بينص عليه هذا القرار هو عدم جواز احتلال ارض الغير بالقوة . . ما معناه بالتفصيل : انسحاب اسرائيل . . ده السبب الأول

يعنى السبب الأول زى ما قلت ان القوتين الكبار ضامنين القرار اللى بيقول وقف اطلاق النار ، ثم التنفيذ الفورى بقرار ٢٤٢ اللى أول شىء فيه بينص على الانسحاب وضامنين هذا . . ضامنين وقف اطلاق النار .

وبدء مشروع أو بدء محادثات مؤتمر السلام لتنفيذ قرار ٢٤٢ وقرار ٢٤٢ واضح فى ان الانسحاب اول بند، السبب الثانى اللى قبلت علشانه وقف اطلاق النار ـ خير ضمان الاثنين الكبار لهذا الموقف وتنفيذ القرار الفورى السبب الثانى هو انى بصراحة ما حاربش امريكا انا حاربت اسرائيل ١١ يوما . . زى ما قال وزير دفاعها أمس ذخائره بعد ٣ أيام كانت ح تخلص وانا عندى هذا التقرير وعارفه .

لكن انا غير مستعد انى احارب امريكا . . وكان فيه رد فعل لقبول قرار وقف اطلاق النار فى البلد عندى وفى الأمة العربية وفى قواتنا المسلحة .

لكن اهيه الأسباب . . أنا بأقولها . . أهيه . . لهذين السببين انا قبلت وقف اطلاق النار »

وشهد شاهد من أهلها

إذا استطعنا ان نقول الكثير عن حربنا ضد العدوان الاسرائيلى ، وما قامت به قواتنا المسلحة فى عملياتها الحربية الممتازة سواء فى عبورها مانع قناة السويس ـ الذى يماثل نهرا ـ أو اجتياح حصون بارليف أو تشتيت الهجمات الاسرائيلية المضادة على ثرى سيناء ، فإن افضل ما نقدمه لا يكون من تسجيلات اجهزتنا ـ رغم صدقها ـ ولا من وجهة نظرنا ـ وكل الشواهد تؤيدها ـ ولكن الافضل والأكثر تأكيدا هو المصادر المحايدة التى تابعت العمليات من الجانبين منذ نشوب القتال . . بل أكثر من هذا وذاك هو شهادة الخصم نفسه واقوال المسئولين الكبار الذين كانوا فى دست الحكم أو مراكز القيادة .

ان انتصار القوات المسلحة المصرية فى معمعات الحرب الرابعة هو انتصار حربى ساحق لامراء فيه . . انتصار يزيده شرفا انه جاء بعد نكسة يونيو ٦٧ وانه تطلب استعدادا هائلا فى ظروف صعبة وفى اتون حرب استنزاف استمرت ست سنوات ، وانه قد احتاج تدريبا عصريا متواصلا لجميع الرتب وشتى الاسلحة والجيوش ، وان الاستعداد والتدريب والتسليح ما كانت تؤتى نتيجتها الا فى نطاق السرية التامة والتمويه الذكى .

ولهذا فقد كان الظن بامكان مصر الاقدام على الحرب مستبعدا من فكر العالم بأسره وفى مقدمته اسرائيل نفسها التى كان وزير دفاعها الجنرال ديان مطمئنا تماما إلى ان إقدام القوات المسلحة على عبور قناة السويس ليس عملية انتحارية وحسب بل انها عملية تفضى إلى الموت الزؤام .

وكان على القيادة المصرية ان تأخذ بالمبادأة ، والمبادأة تتطلب فكرا جديدا واسلوبا غير مسبوق واجراءات تتسم بالجرأة وتنم عن المفاجأة . . وعلى سبيل المثال ابتكار وسائل عبور القناة فى سرية تامة وفى خفية عن نظر العدو ونيرانه ، ثم تحضير القوارب والتركيبات المناسبة لعملية عبور سريعة محفوفة

بالاخطار . . وازالة الحائط الترابى على الضفة الشرقية أو احداث ثغرات للمرور منها . . واقامة رءوس الكبارى ثم حمايتها . . واطلاق غطاء جوى لحماية القوات عند العبور . . ثم مواجهة تحصينات خط بارليف . . الذى وصفوه بانه اقوى من استحكامات ماجينو الفرنسية وسيجفريد الالمانية ، فى ابان الحرب العالمية الثانية !

هذا كله ـ بجلاله وخطره ـ كان موضع تفكير وتدبير وتنفيذ قبل ان يبدأ القتال فى الصحراء ومع عدو منتصر ومستقر ومزود بأحدث الأسلحة والمعدات الامريكية برا وبحرا وجوا . .

ان مجرد مراجعة هذا ومتطلباته الصعبة يؤكد ان القوات المسلحة المصرية قد حققت أكثر مما يتطلبه الانصاف بل انها قد أتت بالمعجزات وعبرت الأهوال وقهرت المستحيل .

أية بطولة يمكن ان تضاهى ما قام به سلاح الطيران المصرى وهو يأخذ بالمبادأة ويصنع الغطاء الجوى لقوات العبور ويوقف تشكيلات العدو البرية عن التقدم ويواجه المقاتلات وقاذفات القنابل التى تفوق عددا وحداثة ، وفيها ما كان يخرج من المصانع رأسا إلى ساحات القتال .

● وأية بطولة يمكن ان ترقى إلى مستوى سلاح المهندسين العسكريين ورجاله يديرون الفكر ويستعرضون الحيل والحلول والمبتكرات لتمهيد الوسائل لعبور قناة السويس فى مواجهة مواقع حاكمة ونيران متسلطة وشواطىء يصعب الهبوط منها والصعود فيها . . وكل ذلك تجرى عليه التجارب فى ظروف مشابهة وفى نطاق السرية فى التدبير وفى التنفيذ

● وأية بطولة تفى بما استعدت له القوات الخاصة لتأمين العبور وحماية رءوس الكبارى والعمل خلف خطوط العدو .

● وأية بطولة تكفى ان نصف بها الجندى العادى الذى يتقدم فى خط النار وعراء الصحراء ، وهو يحمل على كتفه صاروخا يواجه به الدبابة أو الطائرة فإما يصيب وإما يلقى حتفه . .

● وأية بطولة تناسب اطقم الدبابات من الضباط والجنود وهم يواجهون حشدا من المدرعات العصرية منطلقة من اوكارها مهيمنة على ارض المعركة فيدور اكبر صدام للمدرعات فى تاريخ الحرب .

● ثم كيف تحركت الصواريخ وتقدمت المدافع وانطلقت الوحدات البحرية . . طوبى لرجال مصر الافذاذ . . فى كل سلاح . . وفى كل معترك وطوبى لشهداء مصر الذين خضبوا بدمائهم ثرى سيناء واعادوا اليها علم مصر . . ورفعوا امام العالم قدر العسكرية المصرية . . والجندى المصرى .

● وماذا نقول عن شعب مصر الذى صبر على النكسة فلم يستسلم وتحمل ضيق العيش وهلاك المرافق وغلواء العدو ودمار المصانع ومصرع اطفال المدارس . .

● نعم . . انه شعب مصر . . الشعب الحضارى . . الشعب الذى قد ينكسر سلاحه ولكن لاتهلك روحه . .

● انها مصر . . وضباط وجنود مصر

● فهل تكفى هذه الشهادة ، مع صدقها وثبوت مراجعها وأسانيدها . . أم نأتى بشهادة الدوائر المحايدة . . والخبراء الأجانب عن الطرفين ؟

١ ـ رأى الجنرال اندريه بوفر ـ رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية فى فرنسا ـ وهو بحكم تاريخه ومركزه وسمعته الدولية جهة اختصاص لها قدرها :

[ان اسرائيل قد عانت من داء المنتصرين الذين يظنون ان الاقدار فى صفهم فلايحسنون التمييز !
ان طبيعة الحرب قد تغيرت ، وثبت ان العرب يملكون معدات حديثة وجيدة]

٢ ـ رأى المحرر العسكرى لصحيفة الاوبزرفر الانجليزية :
[من المدهش انه لا المخابرات الاسرائيلية ولا أية مخابرات اخرى استطاعت ان تعرف شيئا عن التحركات واسعة التخطيط التى كان القادة المصريون والسوريون يجهزونها . . ان اسرائيل لم تدرك قوة الشعور السائد فى مصر وسوريا بسبب احتلال اجزاء من اراضيهم لقد استطاعت القيادة المصرية ان تمسك بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ! . .]

. . وننتقل الى وجهات نظر أقرب لمنطق اسرائيل ومصالحها . .

٣ ـ رأى هوارد كولاداى وزير الجيش الامريكى :
[ان عبور القوات المصرية قناة السويس فى مواجهة التفوق الاسرائيلى فى القوات البرية هو علامة بارزة جديدة فى الحرب الحديثة سوف تقضى بتغيير فى الاستراتيجية . . ان الحرب فى الشرق الأوسط قد بددت الكثير من الافكار العسكرية . . فلأول مرة فى التاريخ الحديث تتمكن قوة من انجاز عملية عبور ضخمة لقناة السويس ـ التى تماثل نهرا ـ وفى مواجهة عدو مزود بسلاح طيران حديث . وبدون ان تفقد القوات التى عبرت أية طائرة من طائراتها . .]

ننتقل بعد هذا الى شهادة الخصوم ، والحكم ـ كما يقولون ـ ماشهد به الاعداء وهذا هو طرف من شهادة أهلها :

٤ ـ جنرال حاييم بارليف ، الرئيس السابق لهيئة اركان الحرب الاسرائيلية والذى صار إسمه علما على خط التحصينات فى سيناء :
[ان المصريين حاربوا هذه المرة بدوافع وطنية اكثر من أى وقت مضى . . اننى لا استطيع ان أقلل من الكفاءة القتالية للمصريين فإن خطوطهم صعبة المنال ، وهم فى هذه المرة اكثر جسارة وتصميما . . وان روح الفداء والتضحية كامنة فيهم وتصل بهم الى حد المخاطرة .
ان المصريين والسوريين دخلوا هذه الحرب بأسلحة جديدة معقدة او بكميات لم تحسن القيادة الاسرائيلية تقديرها . . ولهذا فقد حدثت المفاجأة وحقق المصريون والسوريون انتصارهم . .]

٥ ـ جنرال موشى ديان ـ وزير الدفاع الاسرائيلى ـ والمسئول الأول عن الموقف الحربى باعترافه امام « الكنيست » بالحقائق التالية :
[ان اسرائيل لم تكن تملك قذائف كافية وذخيرة تمكنها من الاستمرار فى الحرب خلال إسبوعها الأخير !
ان هؤلاء الذين يطالبون بشن حرب جديدة من أجل استعادة الأسرى عليهم أن يعرفوا ان اسرائيل لاتستطيع خوض غمار حرب أخرى ما لم تكن واثقة بتأييد الامريكيين السياسى والمادى . .]

. . وهكذا ، فقد شهد شاهد من أهلها . . والحكم ماحكمت : الاعداء ! أما عن موقف العالم الحر من الحرب العربية الاسرائيلية فقد جاء شبه إجماعى على إدانة اسرائيل وشجب عدوانها . . وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ قرار دول افريقيا مقاطعة اسرائيل وطرد بعثاتها وانهاء كل علاقة معها .

لقد خسرت اسرائيل فى افريقيا وحدها ٢٩ دولة كانت لها فى كل دولة منها علاقات ومصالح فأضاعتها جميعا بسبب عدوانها المتواصل واصرارها الأحمق على احتلال اراضى الغير بالقوة .

٢ ـ حركة التحرر العالمى : صدر قرار ٧٨ دولة تضم ١٥٠٠ مليون انسان بالاضافة الى ١٦ مندوبا من ممثلى حركات التحرر فى العالم بتجريم اسرائيل وعزلها ومقاطعتها .

حدث ذلك فى مؤتمر رؤساء دول عدم الانحياز الذى عقد بالجزائر فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ ، فقد اصدر المؤتمر قرارا ـ انطلاقا من قراراته السابقة التى أقرتها دوله بشأن الموقف الخطير فى الشرق الأوسط والناتج عن استمرار الاحتلال الاسرائيلى لاراضى ثلاث من دول عدم الانحياز ـ مصر وسوريا والأردن ـ بطلب الانسحاب الفورى من جميع الأراضى التى احتلتها منذ يونيو ٦٧ ، ويؤكد مساندته الكاملة والفعالة لمصر وسوريا والأردن فى نضالها المشروع لاسترجاع اراضيها المحتلة كاملة ، وبشتى الوسائل . . ويندد بالدول التى تقدم العون أو التأييد السياسى والمعنوى لاسرائيل ، ويطلب منها الكف عن ذلك ، على الفور .

٣ ـ المؤتمر البرلمانى الدولى :
وهو يمثل أعلى السلطات فى دول العالم : وقد عقد فى جنيف إبان معارك اكتوبر وحضره اكثر من ٧٠ وفدا يمثلون معظم برلمانات العالم ـ وقد صدر قرار المؤتمر بوجوب الانسحاب الاسرائيلى الفورى من كافة الاراضى العربية كمقدمة لمؤتمر السلام ، وتأكيد حق كل دولة فى استرداد أرضها المحتلة ، بكل الوسائل .

٤ ـ مؤتمر قوى السلام فى العالم :

وهو المؤتمر الذى عقد يوم ٢٥ سبتمبر ٧٣ فى موسكو ، وحضره ٢٢٠٠ مندوب يمثلون ١٤٤ دولة ، وقد اجمعت الكلمات التى القيت والتوصيات التى أعلنت على ان الواجب الأسمى على جميع شعوب العالم أن تقف ضد العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية ، وان تعمل على اقرار حقوق شعب فلسطين وعلى انسحاب قوات اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة .

٥ ـ موقف المانيا الغربية :

فى يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ أدلى فيلى برانت مستشار المانيا الغربية بتصريح امام البوندستاج ـ البرلمان الألمانى ـ جاء فيه :

[إن الدول الكبرى تتحمل مسئولية أساسية فى النزاع العربى الاسرائيلى ، وانه يتعين على الدول الأوربية ان تضطلع بدور بناء وتساهم فى اقرار السلام عن طريق التعاون المعقول والملائم .

ان حكومة (بون) تؤيد تطبيق القرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن ، من أجل التوصل الى سلام نهائى دائم وعادل فى الشرق الأوسط .

٦ ـ موقف رومانيا :

اعلنت رومانيا دائما عن سياستها الخارجية القائمة على الأسس المتينة والثابتة لمبادىء احترام الاستقلال والسيادة الوطنية ، وحق كل شعب فى التطور الحر ـ كسيد لمصيره ـ بعيدا عن أى تدخل أجنبى ، كما تعارض هذه السياسة الاتجاه الى استخدام القوة والتهديد بها . . وجميع أشكال ممارسة الاملاء والقهر فى العلاقات الدولية .

وفى لقاء لى مع رئيس جمهورية رومانيا* ـ الرئيس نيقولاى شاوشيسكو ـ صارحنى بما يلى :

[ينبغى شجب العدوان واجبار المعتدى على الانسحاب وحل المنازعات وتصفية الخلافات بالطرق السلمية ، ان الشعب الرومانى وأنا نواصل السعى لتأييد نضال الشعب المصرى لاستكمال حريته واستعادة الارض العربية المغتصبة وتوفير الامن والتقدم لجميع شعوب المنطقة وان موقف رومانيا الثابت والمعلن فى كافة المجالات والمنابر الدولية هو العمل العاجل لارساء سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط ، وهى منطقة لها حساسيتها وفيها يكمن خطر صراع دولى يتهدد العالم كله وانه لابد من انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها فى سنة ١٩٦٧ كمقدمة لاغنى عنها لتسوية

---

* كان لقائى بالرئيس شاوشيسكو يوم الثلاثاء اول اغسطس ١٩٧٨ فى مقره الصيفى ، بمصيف نيبتون بمدينة كونستانزا ، على شاطىء البحر الاسود

(المؤلف)

النزاع العربى الاسرائيلى واحلال سلام عادل ودائم مع التأكيد على حقوق شعب فلسطين وخاصة حقه فى اقامة وطن فلسطينى مستقل وحق كل بلد فى أن يعيش داخل حدود آمنة ومعترف بها

انه لايمكن تحقيق سلام حقيقى ومستمر فى الشرق الأوسط الا بانسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة ، وضمان حرية وحرمة الاراضى ، والاستقلال والسيادة لجميع دول المنطقة والتسوية العادلة لقضية الشعب الفلسطينى بمنحه الحق فى تقرير مصيره واقامة دولة فلسطينية مستقلة]

٧ ـ موقف النمسا :

قررت حكومة النمسا الغاء معسكر ـ شوناو ـ الذى كان اليهود السوفييت المهاجرون الى اسرائيل يتجمعون فيه لفترة راحة فى طريقهم من موسكو الى تل ابيب . وأوقفت النمسا التسهيلات التى كانت تقدمها لحركة الهجرة اليهودية . ولم تستطع الحملة الرعناء التى شنتها اسرائيل على النمسا ان تغير قرار المستشار كرايسكى وحكومته .

٨ ـ موقف كوبا :

اصدرت حكومة كوبا قرارا بقطع العلاقات مع اسرائيل .

٩ ـ موقف الوفاق السوفيتى الامريكى :

لقد تعرض الوفاق بين القوتين العظميين للخطر وحدثت مواجهة دبلوماسية شديدة واضطرت روسيا الى اعلان تهديدها بتدمير اسرائيل ، وردت الولايات المتحدة باستنفار قواتها فى جميع انحاء الدنيا

كذلك تدلت على شفا الهاوية سياسة الوفاق والتجارة الامريكية مع الاتحاد السوفيتى ومحادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية ومحادثات خفض القوات فى أوروبا !

١٠ ـ بين الولايات المتحدة واوروبا :

احدث العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية واشتعال حرب اكتوبر أزمة عنيفة بين الولايات المتحدة والدول المشتركة معها فى « حلف الأطلنطى » وظهر جليا عدم تضامن حلفاء امريكا عامة مع السياسة الامريكية ، وقد رفضت الدول الغربية السماح باستخدام اراضيها لنقل الأسلحة الامريكية الى اسرائيل وقد ادى قطع البترول العربى عن الدول الغربية والصناعية الى

تخلى دول حلف الاطنطى عن تضامنها الكلى مع الولايات المتحدة . . وفى ذلك قالت صحيفة الصنداى تايمز اللندنية :

[ان هذا الحلف لم يفرض عليه ، ان الانتماء اليه يعنى الزام الدول الأوروبية بمساندة المطالب والاحتياجات الصهيونية التى تقع على عاتق الرؤساء الامريكيين] ! ؟

١١ ـ مجلس وزراء خارجية دول السوق الاوربية المشتركة *

فى يوم ٦ نوفمبر ١٩٧٣ اجتمع مجلس وزراء خارجية دول السوق الاوربية المشتركة واصدروا قرارا اجماعيا بتأييد الموقف العربى وضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها منذ سنة ١٩٦٧ ـ على اعتبار ان ذلك من الشروط الحيوية المسبقة للتوصل الى تسوية فى الشرق الأوسط ، كما ايد الوزراء قرار مجلس الأمن القاضى بانسحاب القوات المتحاربة الى مواقع يوم ٢٢ اكتوبر وانشاء قوة طوارىء دولية للاشراف على وقف اطلاق النار .

وقد أعلن وزراء خارجية دول السوق الاوربية المشتركة عدة مبادىء لاقرار التسوية السلمية متضمنة :

١ ـ عدم السماح بالاستيلاء على اراضى الغير بالقوة .
٢ ـ احترام وسيادة واراضى واستقلال كل دولة .
٣ ـ الاعتراف بضرورة احترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

كذلك اعلن الوزراء تأييدهم ـ وفقا لهذه المبادىء ـ لاجراء محادثات سلام تحت اشراف الأمم المتحدة .

كما أكد جمعهم ان دول السوق لن تترك تسوية الموقف لكى تنفرد به الدولتان العظميان وان مجلس الامن « وفالدهايم » ـ السكرتير العام للامم المتحدة ـ عليهما دور خاص فى تحقيق وضبط السلام .

---

* دول السوق الأوربية المشتركة هى : (١) فرنسا (٢) بريطانيا (٣) المانيا الغربية (٤) ايطاليا (٥) هولندا (٦) بلجيكا (٧) لكسمبورج (٨) دانمرك (٩) ايرلندا .

البترول العربى فى المعركة

أظهرت حرب اكتوبر سلاحا جديدا لم يسبق استخدامه فى الحروب ، وهو ـ على عكس غيره من الأسلحة التقليدية ـ لايقتل ولايجرح ولاينسف ، ولايحدث قعقعة ولايقذف نارا . . وانما يحدث اخطارا جسيمة وهو قابع فى مخبئه تحت الأرض . . يحدث دمارا . . وبوارا اقتصاديا . . وظلاما . . وتجمدا . . حتى الموت !

هو البترول العربى

لقد اثبتت الأمة العربية انها قادرة ـ عندما تتحد صفوفها ويتوحد قرارها ـ على مواجهة الخصوم مهما كان شأنهم وسلاحهم . وان لها من امكاناتها ومصادر قوتها مما يمكن لها من تحرير الأرض المغتصبة واستعادة الكرامة . . وليس العرب قاصرين عن تحقيق غاياتهم المشروعة كما تقول دعاية اعدائهم .

وقد استخدم العرب سلاح البترول فى الوقت المناسب تماما وكان له تأثيره الخطير فى الموقف الذى احاط بحرب اكتوبر وبالدول التى كانت تساند اسرائيل .

ومرت معركة البترول بالأدوار الآتية :

١ ـ دعت دولة الكويت جميع الدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول الى اجتماع طارىء فى الكويت يوم ١٥ اكتوبر ـ وحضر الاجتماع وزراء بترول دول عربية هى :

١ ـ الكويت	٢ ـ المملكة السعودية	٣ ـ ليبيا
٤ ـ الجزائر	٥ ـ دولة الامارات	٦ ـ مصر
٧ ـ سوريا	٨ ـ البحرين	

وصدر قرار هذه الدول ـ بالاجماع ـ بخفض انتاجها من البترول فورا بحد ادنى ٥٪ الى ان يتم الجلاء عن الأراضى العربية المحتلة .

كذلك تقرر أن يطبق هذا الخفض على الصادرات للولايات المتحدة * ثم الدول الصناعية التى تساند اسرائيل ، واستثنى القرار الدول الصديقة للعرب .

٢ ـ اعلنت جمهورية ليبيا ـ يوم ١٩ اكتوبر وقف صادرات بترولها الى الولايات المتحدة (تبلغ صادرات البترول الليبى للولايات المتحدة فى ذلك الوقت ٢٠٠ الف برميل يوميا تمثل ١١,١٪ من الانتاج اليومى فى ليبيا)
كذلك قررت ليبيا رفع سعر بترولها بنسبة ١٠٠٪ (اصبح سعر البرميل ٨,٩٢٥ دولار امريكى بدلا من ٤,٦٠٤ دولار) .

٣ ـ أعلنت العراق رفع سعر بترولها المصدر من البصرة (من ٢,٩٧٧ دولار للبرميل الى ٥,٠٦١ دولار) .

٤ ـ اعلنت كل من السعودية والجزائر ودولة الامارات وليبيا ـ ثم اتبعتها الكويت وقطر والبحرين خفض انتاجها بنسبة ١٠٪ .

٥ ـ اجتمع فى يوم ٤ نوفمبر ١٩٧٣ ـ فى الكويت ـ المجلس الوزارى لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول . واتخذ قرارا بخفض انتاج البترول فى كل دولة عربية بنسبة ٢٥٪ عما كانت عليه فى اول سبتمبر ٧٣ ـ على ان يستمر الخفض بعد ذلك بنسبة ٥٪ شهريا ابتداء من اول ديسمبر .

ومعنى ذلك القرار الأخير احداث نقص فى السوق الدولية يعادل ٥ ملايين برميل بترول يوميا .

وهكذا تصاعد استخدام البترول العربى كسلاح مؤثر فى المعركة بخفض الصادرات للدول المساعدة لاسرائيل مع قطع البترول تماما عن كل من الولايات المتحدة وهولندا .

وكان لهذا القرار الخطير أثره الرهيب بالنسبة للدول الضالعة مع اسرائيل ، حتى وصفته مصادر الانباء بأنه يماثل شبح مجاعة . . أو كارثة قحط . . أو وباء ! .

وجاء فى موسوعة « جيستر » :

« ان احتمال حدوث مجاعة عالمية فى البترول كفيل بأن يغير وجه الحرب ، لأنه يحرم القوات العسكرية من نحو ٩٠٪ من قدرتها على الحركة ، وسوف تتعطل ـ

* تقدر صادرات البترول العربى للولايات المتحدة فى ذلك الوقت بـ ٤٠ مليون برميل شهريا

بسبب اختفاء البترول ـ تحركات الطائرات والدبابات والاساطيل البحرية . . ان استخدام البترول قد يشعل معركة ضارية بين القوى العسكرية الكبرى فى سعيها وتنافسها من اجل السيطرة على منابع ـ أى حقول ـ البترول » ! ؟

وقد احدثت قرارات خفض أو منع تصدير البترول لعدد من الدول هزة عنيفة فى كل عاصمة واستوجبت اجراءات استثنائية عاجلة . . وهذه بعض ردود الفعل كما جرت فى عدد من الدول :

١ ـ فى الولايات المتحدة :

اجتمع خبراء البترول والصناعات للبحث فى الحد من استهلاك الوقود بشكل الزامى كما تقرر خفض عاجل فى وقود الطائرات النفاثة ، وايضا فى وقود التدفئة بعد ان اصبح من المحتمل بلوغ العجز ـ خلال فصل الشتاء ـ ١٠٠ الف برميل يوميا .

وقد صرح وزير التجارة الامريكى ـ فردريك دينت ـ ان الولايات المتحدة ستواجه ازمة حادة فى البترول ، وسيؤدى حظر تصدير البترول العربى الى عجز فى احتياجاتها تتراوح نسبته بين ١٠٪ و ٢٠٪ .

وأوضح السناتور هنرى جاكسون ـ فى مجلس الكونجرس ان أزمة الوقود فى الولايات المتحدة « اسوأ مما كنا نقدر » ، طالبا بوضع خطة طوارىء فورية لمواجهة الأزمة .

واعلن اتحاد شركات الطيران الامريكية خفض ٣٠٠ رحلة يوميا من رحلات شركات الطيران .

واقرت لجنة الطيران المدنى اتفاقية تسمح لشركات الطيران بخفض رحلاتها التنافسية على ١٥ خطا ، واستبدال الطائرة الضخمة (الجامبو) بطائرات اصغر على ٥ خطوط اخرى ، وتغيير استخدام النفاثات بوينج ٧٤٧ ـ التى تحتوى على ٣٧٠ مقعدا بطائرات ٧٠٧ (١٧٠ مقعدا) فى ٨ رحلات اخرى « مما يؤدى الى اكبر خفض فى الخدمات الجوية تشهده الولايات المتحدة بضربة بترول واحدة ! ؟

ومما يذكر ان اكثر الخطوط تعرضا للنقص هو الخط الممتد بين نيويورك وشيكاغو . حيث انخفضت رحلات الذهاب والاياب بمقدار ١٤ رحلة يوميا واذاعت

« شركة الخطوط العالمية » انها تتجه الى الاستغناء عن ٥٠٠ موظف بسبب الغاء عدد من الرحلات ، ومن المرتقب ان تتبعها فى ذلك شركات اخرى وهكذا اصبحت الولايات المتحدة تعانى اسوأ ازمة فى الطاقة منذ الحرب العالمية الثانية وتواجه عجزا يقدره الخبراء بحوالى ١,٦ مليون برميل يوميا ـ من جملة الاستهلاك الامريكى اليومى البالغ ١٧ مليون برميل ـ ولذلك فقد اضطرت لاصدار تشريعات تهدف الى خفض الاستهلاك اليومى ، والى توزيع البترول بالبطاقات ، والى تخفيض السرعة القصوى للسيارات ، والى استخدام المخزون الاستراتيجى للبحرية الامريكية ، والى ارغام محطات الكهرباء على استخدام الفحم بدلا من المواد البترولية . . رغم تعارض ذلك مع اجراءات حماية البيئة ، وتلوث الهواء .

٢ ـ فى المملكة المتحدة :

قالت دوائر البترول فى انجلترا ان الدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول ـ قد استخدمت سلاح البترول بكفاءة عالية لم تكن متوقعة من اجل حفز الدول على تغيير خطط مساندتها لاسرائيل ، وقد أدى ذلك الى ازمة طاحنة فى اسواق البترول الدولية مما احدث اثرا صارخا فى جميع الدول الغربية والصناعية .

وقد تحركت حكومة المملكة المتحدة بسرعة لمواجهة ازمة الطاقة ، ووجهت نداءات الى الشعب عن طريق الصحف والاذاعة والنشرات الاعلامية بالاقتصاد فى التدفئة بالمنازل واقتصاد الكهرباء فى المصانع والمتاجر .

وقالت الحكومة الانجليزية : انه الى جانب ضرورة الاقتصاد الى اقصى حد ممكن فى التدفئة فانه على اصحاب السيارات ان يحدوا من تحركاتهم وان يلجأوا الى استخدام المواصلات العامة .

ودعت الصحف البريطانية ـ وفى مقدمتها التايمز ـ الحكومة الى ان تعمل على تحسين علاقاتها مع الدول العربية « لأن الموضوع فى غاية الأهمية لنا » وليس فى ذلك مايدعو للخجل . . اذ أنه يتعلق بمصالحنا الحيوية التى يعتبر من الجنون أن نغفلها » .

٣ ـ فى فرنسا :

تعتبر فرنسا ـ بالنسبة للعالم العربى ـ فى مركز ممتاز لأن فرنسا ـ منذ العدوان الاسرائيلى سنة ٦٧ ـ قد اتخذت موقفا معارضا للعدوان ومؤيدا للحق العربى ، وقد توقعت فرنسا ان تحدث كارثة لاوروبا الغربية اذا منع العرب بترولهم عنها .

وكتبت الصحف الفرنسية طويلا عن أهمية الاسراع فى وقف الحرب فى الشرق الأوسط واحلال السلام بجلاء الاسرائيليين عن الأراضى المحتلة والوفاء بحقوق شعب فلسطين .

وقد اعربت مصر عن تقديرها لموقف فرنسا ، وتوجه وزير خارجية مصر الى باريس ليبلغ الرئيس الفرنسى ان حصة فرنسا من البترول مستمرة ـ وان العرب يعترفون بموقف فرنسا فى جانب الحق العربى .

٤ ـ فى المانيا الغربية :

ادركت المانيا منذ بداية العدوان الاسرائيلى خطر حظر تصدير البترول العربى اليها ، وعارضت اى اتجاه لمساعدة اسرائيل ، وأصرت الحكومة الالمانية على خطتها الحيادية ولم توافق على مرور العتاد الامريكى من قواعدها أو موانيها الى اسرائيل ولذلك فقد وقع خلاف خطير بين الولايات المتحدة والمانيا بسبب رفض المانيا طلبات امداد اسرائيل بالسلاح والذخيرة .

كما أن المانيا عبّرت بجلاء عن موقفها ضمن مجموعة دول السوق الاوروبية بقرارها المنصف بضرورة انسحاب اسرائيل من البلاد العربية واحلال السلام فى المنطقة .

٥ ـ فى هولندا :

نظرا لأن هولندا كانت مؤيدة لاسرائيل فقد أُجمعت الدول العربية على وقف تصدير البترول اليها وسرعان ما احدق بها الخطر واعلن رئيس وزرائها ان « الموقف خطير جدا » . . وان بلاده تجرى مشاورات دبلوماسية عاجلة لمحاولة اقناع الدول العربية بالعدول عن قرارها !

ان كمية البترول التى فرضت الدول العربية حظر ارسالها الى هولندا كانت تبلغ ٤٠,٧ مليون طن ، من جملة واردات هولندا من البترول التى تبلغ ٦٨ مليون طن سنويا . . وتلك نسبة كبيرة تمثل خطرا على اقتصاديات هولندا وحياة شعبها اليومية . . واظهرت الصحف الهولندية صور مواطنيها وهم يستخدمون فى تنقلاتهم الخيل والدراجات « قباقيب العجل » الذى يستخدم فى التزحلق على الجليد !

وامام هذا الخطر الحاسم اخذت هولندا تطرق كل سبيل للخروج من حصار المقاطعة العربية وتعلن المرة بعد المرة موقفها المؤيد للعرب والقضية الفلسطينية والذى اصبح يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الأراضى المحتلة . . وراحت تتبرأ من دعوى مساندتها لاسرائيل وتبعث مندوبيها الى البلاد العربية لاعلان سياستها الجديدة ، واخيرا . . اشتركت هولندا مع باقى دول السوق الاوروبية المشتركة فى اصدار قرارها التاريخى يوم ٦ نوفمبر ٧٣ بتأييد الموقف العربى وضرورة انسحاب اسرائيل واجراء تسوية سلمية عادلة ودائمة فى منطقة الشرق الأوسط . .

ولعل ابلغ وصف لحظر استخدام سلاح البترول العربى وتأثيره على الدول الغربية والصناعية ما جاء فى تصريح رئيس الولايات المتحدة الامريكية . .

قال الرئيس نيكسون :

[ان اوروبا التى تعتمد على الشرق الأوسط بنسبة ٨٠٪ من بترولها ستتجمد ـ حتى الموت ! من شدة البرد فى هذا الشتاء ، اذا لم تتم بسرعة تسوية الازمة] .

وعندما بدأ التنفيذ العملى لقرار خفض انتاج البترول بصفة عامة ، وحظر تصديره الى الدول التى تساند اسرائيل . . فإن هذا السلاح الجديد الخطير قد احدث اثره وجعل الدول الغربية والصناعية تغير موقفها من اسرائيل . وظهر ذلك واضحا فى قرارات دول السوق الاوروبية وفى اليابان التى أعلنت تأييدها للحق العربى وشجبها للعدوان ورفضها سياسة التلويح بالقوة والاستيلاء على اراضى الغير .

بل انه فى الولايات المتحدة أبدى الرأى العام استياء بالغا من استمرار النزاع العربى الاسرائيلى . وطالب بتعجيل اجراءات التسوية السلمية وانقاذ العالم من الوقوع فى محنة حرب عالمية ثالثة نظرا لتصادم القوى الكبرى فى منطقة الشرق الأوسط .

وفى يوم ٢٤ ديسمبر ٧٣ صدر قرار عربى جديد باستمرار حظر تصدير البترول الى الولايات المتحدة وهولندا وجنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا ، وذلك لموالاة تأييدهم لاسرائيل .

. . . كذلك تقرر فى شهر يناير ٧٤ رفع سعر البترول الى ٧ دولارات للبرميل مما احدث ردود فعل عالمية تزيد من الضرر الذى احدثته سياسة اسرائيل العدوانية على العالم بأسره .

وهكذا فانه سلاح البترول الذى استخدمه العرب فى حرب اكتوبر قد أضيف الى ائمة اسلحة الحرب الحديثة ، وظهرت اثاره المخيفة على شعوب المناطق الباردة على الدول الصناعية واصبح سلاحا يحسب حسابه جيدا فى امور عالم اليوم عسكريا وسياسيا واقتصاديا .

الزلزال الذى هز عواصم العالم

بعد عدوان اسرائيل على مصر وسوريا والأردن فى يونيو ٦٧ واصرارها على الاستمرار فى احتلال الأراضى بالقوة ورفضها تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الذى ارتضته وقت صدوره ثم استمرار رفض محاولة التسوية السلمية لفض النزاع العربى الاسرائيلى وترسية سلم دائم يقوم على الحق والعدل . . فإنها بذلك قد سلكت طريق التحدى المتواصل للرأى العالم العالمى وتجاهلت قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتبديد مساعى الدول الأربع الكبرى ـ الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ـ التى عقد ممثلوها عديدا من الاجتماعات بغير جدوى . . وايضا محادثات الدولتين العظميين التى استمرت عدة اشهر وانتهت بغير نتيجة . . حتى اذا نشبت الحرب الرابعة ـ فى اكتوبر ٧٣ ـ فقد ادركت دول العالم خطر المعركة عليها . وخاصة بعد استخدام البترول العربى فى المعركة ولقد بلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل ٢٩ دولة ، كما ادانتها قرارات ٧٨ دولة ـ هى دول عدم الانحياز-وقد احدث قطع البترول عن عدد من الدول الغربية والصناعية هزة تشابه الزلزال فقد اشرفت دول على حافة الأذى والمشقة وهوة المستقبل المظلم .

ومن احداث ذلك الموقف المشبّع بالاخطار :

١ ـ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى :

لقد تعرض الوفاق بين العملاقين النوويين لأزمة خطيرة كادت أن تعصف بالوفاق ـ وهو فى شهره الأول ـ وكان معنى تدمير الوفاق حدوث مواجهة قد تشعل حربا نووية لاتبقى ولاتذر .

واذا كانت مصادر الاخبار لم تفصح عن احداث المواجهة فقد يفهم مدى تدهور الموقف من تصريحات المسئولين . . وقد كشف « سيراليك دوجلاس هيوم » وزير خارجية بريطانيا ـ أمام مجموعة من الأوربيين فى حلف الأطلنطى ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تمكنتا ـ فى لحظة متأخرة ـ من الحيلولة دون تدخل عسكرى فى الشرق الأوسط ، وذلك لتجنب مواجهة نووية بينهما .

وأشار هيوم الى ان عنصر « الحظ » كان له دخل كبير فى تمكين المحاولات الأولى لسياسة الوفاق من تحقيق وقف اطلاق النار بفاعلية ، رغم التوتر الشديد بين الطرفين المتحاربين .

ان الاحداث التى تلت وقف اطلاق النار ـ وبينها اعلان حالة التأهب للقوات الأمريكية ـ فى شتى بقاع العالم ـ قد اظهرت أن الطريق مازال طويلا أمام الوفاق قبل ان يمكن القول بأنه امكن انقاذه . . فقد كان الخطر جاثما واحتمال الصدام وشيكا .

٢ ـ بين الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى :

وقعت الولايات المتحدة فى أزمة عنيفة مع حلفائها الاوربيين الذين اتهموا ـ بالاجماع ـ الحكومة الامريكية بانها اهملت اهمالا مشينا التشاور مع حلفائها قبل اعلان حالة التأهب فى قواتها داخل البلاد وفى قواعدها الخارجية ، وان حالة التأهب لم يكن لها مايبررها .

وقال قائل : ان الرئيس نيكسون* اراد بإعلان التعبئة ان ينثر بعض الماء على نار ووترجيت

وقد جرى اجتماع طارىء لمجلس حلف الاطلنطى ـ وهو اعلى هيئة للحلف وتمثل فيه جميع الدول الاعضاء ـ ودارت المناقشات الساخنة حول تصرف الولايات المتحدة دون استشارة الحلف ، وكيف يمكن لهؤلاء الحلفاء ضمان عدم استمرار هذا الاسلوب من جانب الولايات المتحدة !

وتبادل الطرفان الاتهام واتسع الخلاف . .

قالت الولايات المتحدة « ان اوروبا تخلت عن التزاماتها فى ساعة المواجهة الشاملة » .

وقال الحلفاء الاوربيون : « ليس من حق الولايات المتحدة توريط حلفائها دون استشارتهم » .

ان الولايات المتحدة اصدرت قرارها باعلان حالة الطوارىء لقواتها فى جميع انحاء العالم عندما ظهر فى الافق احتمال مواجهة بينها وبين الاتحاد السوفيتى بسبب الحرب فى الشرق الأوسط ، واخفت عن حلفائها الذين علموا بهذا القرار

* فضيحة التجسس الحزبى فى انتخابات الولايات المتحدة التى اسفرت عن عزل الرئيس نيكسون فيما بعد .

الخطير من مصادر الانباء العادية اثناء انعقاد مجلس حلف شمال الاطلنطى فى بروكسل ، ولم يكن كبار الضباط فى قاعدة الحلف على علم بهذا القرار إلا بعد انقضاء ساعات واجتياز مرحلة الخطر .

ولقد وجه الرئيس الأمريكى نيكسون اللوم الى حلفائه الأوربيين « لافتقارهم الى روح التعاون مع الولايات المتحدة فى الصيغة التى تنتهجها لتسوية النزاع فى الشرق الأوسط » ـ لترجيح كفة اسرائيل ـ وقال منذرا :

(ان اوروبا كادت ان تموت « جمدا » هذا الشتاء بسبب توقف البترول العربى ـ مالم يتم وقف اطلاق النار).

ولقد كان واضحا غضب الولايات المتحدة من حلفائها الذين رفضوا مرور المعونات الامريكية الى اسرائيل عبر اراضيهم .

وفى المؤتمر المشترك للبرلمانيين الأوربيين والاسرائيليين ـ الذى عقد فى واشنطون يوم ٣١ أكتوبر ٧٣ قال هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة انها« ظلت طوال اسبوعين تتخذ قرارات هامة بينما كان الحلفاء الأوربيون يتصرفون وكأن حلف الاطلنطى يغط فى النوم » .

واتهم كيسنجر الحلفاء الأوربيين صراحة بانهم كانوا مهتمين بالحصول على مزايا فردية دون اعتبار للتعاون والعمل الموحد مع الولايات المتحدة،وجاء فى بيان مؤتمر واشنطون « أنه نظرا للخلافات بين الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية ـ التى كشفتها أو تسببت فيها الحرب العربية الاسرائيلية ـ فقد اصبح من الضرورى اعادة صياغة العلاقات الامريكية الاوروبية بشكل يضمن التنسيق واعادة توزيع المسئوليات بين واشنطون والعواصم الغربية بما يضمن لاوروبا ان يكون لها صوتها الواحد فى المجال السياسى وفى السياسة الدفاعية المشتركة » .

وقد اضطر عدد من الدول الأوروبية ـ فى ابان حرب سيناء ـ الى اصدار بيانات حيادية ، وأبلغت الولايات المتحدة انها لاتستطيع تقديم تسهيلاتها أو نطاقها الجوى لعمليات اعادة تزويد اسرائيل بالاسلحة . . ولذلك اضطرت الولايات المتحدة الى نقل طائراتها الى اسرائيل عن طريق القواعد الاستراتيجية بدلا من استخدام القواعد الامريكية فى اليونان أو المانيا الغربية أو المملكة المتحدة . وظهر تساؤل مهم للغاية :

هل حلف الاطلنطى هو حلف دفاعى ضد أية اندفاعات سوفيتية محتملة داخل اوروبا . . أم هو قاعدة للعمليات لمساندة اسرائيل ؟

وقد جاء الرد حافلا بالسخرية اللاذعة :

ان حلف الاطلنطى لم يعرف اطلاقا ان الانتماء اليه يعنى الالتزام باستجابة الدول الاوروبية للمطالب الصهيونية التى تثقل كاهل الرؤساء الامريكيين !

٣ ـ بين الولايات المتحدة وبريطانيا :

وقعت مواجهة حادة بين الولايات المتحدة وبريطانيا بسبب السياسة الامريكية ازاء حرب اكتوبر ، ومن ذلك اهمال واشنطون التشاور مع لندن حول اعلان حالة التأهب فى القوات الامريكية . وكذلك استياء لندن من الانتقادات العلنية التى وجهها الرئيس الأمريكى نيكسون للحلفاء الاوربيين لعدم مساندتهم للسياسة الأمريكية . بينما لم يكن هناك اهتمام بابلاغ لندن عن ذلك الحدث الخطير بينما هى الحليفة الأولى للولايات المتحدة .

وقد اشتدت الازمة فى ابان تقدم القوات المصرية فى سيناء ، ان عكفت الولايات المتحدة على مساندة اسرائيل وشرعت فى تزويدها بالسلاح عبر قاعدة السلاح الجوى البريطانى فى قبرص ولكن الحكومة البريطانية رفضت الطلب الامريكى ، كذلك تفجر الغضب فى الدوائر السياسية البريطانية بسبب استبعاد الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن ـ وبينهم بريطانيا وفرنسا ـ من الاشتراك فى قوة حفظ السلام .

ان الولايات المتحدة ـ من وجهة نظر بريطانيا ـ وضعت العالم على شفا حرب نووية ، وكادت ان تجر حلفاءها اليها ـ دون أن تستشيرهم فى ذلك المعترك الخطير والمصير الدرامى .

٤ ـ بين الولايات المتحدة وفرنسا :

وقد اعربت المصادر الفرنسية المسئولة عن اختلافها مع الولايات المتحدة فى الطريقة التى عالجت بها ازمة الشرق الأوسط ، وان الولايات المتحدة هى الجانب المخطىء فى حلف الاطلنطى لأنها لم تستشر الاعضاء فى كيفية التصرف ، كحلفاء .

ان اسباب الخلاف الامريكى الاوروبى ـ من وجهة النظر الفرنسية ـ يكمن فى ان الولايات المتحدة حاولت استخدام قواعدها فى اوروبا لنقل السلاح الى

اسرائيل – اثناء حرب اكتوبر وبعدها – دون اخطار الحكومات الاوروبية والتشاور معها ولقد ازدادت فرنسا اقتناعا بأنها كانت على صواب منذ سبع سنوات عندما طلبت من الولايات المتحدة نقل قواعدها الحربية من الأراضى الفرنسية .

٥ – بين الولايات المتحدة والمانيا الغربية :

اضطرت حكومة بون – وهى اقرب الحلفاء الأوربيين الى الولايات المتحدة واشدهم ارتباطا بها – الى وقف تعاونها عندما ارادت الولايات المتحدة ان تنقل الى اسرائيل اسلحة ومعدات كانت مودعة فى القواعد الامريكية بالمانيا.كذلك رفضت المانيا طلب الولايات المتحدة توفير تسهيلات لطائرات التجسس الجوى الامريكى ولتعزيز عمليات الاستطلاع بالاقمار الصناعية فوق ارض العمليات فى سيناء اثناء القتال بين القوات المصرية والاسرائيلية وكانت المانيا مقتنعة بأن دعم الولايات المتحدة المطلق لاسرائيل هو مضاد لمصالح المانيا .: على ضوء عدم رغبة المانيا فى تقويض علاقاتها بالبلاد العربية ، وخاصة اعتمادها الاساسى على البترول العربى .

. . هذا فضلا عن ان الولايات المتحدة اعلنت حالة التأهب النووى فى قواتها – على اثر خلافها مع الاتحاد السوفيتى حول حرب الشرق الأوسط – دون تشاور مع حليفتها المانيا ، وان واشنطون لم تشاور بون بعزمها على ارسال اسلحة لدعم اسرائيل عبر اراضى المانيا ، كما ان الحكومة الالمانية اصرت على عدم استخدام اراضيها لنقل السلاح والعتاد الحربى الى اسرائيل .

ولقد سبقت لألمانيا تجربة مريرة فى هذا المضمار عندما ارسلت اسلحة لاسرائيل وأدى ذلك الى قطع العلاقات بين المانيا والدول العربية على مدى عشر سنوات مما دعا المانيا الى الالتزام بسياسة حيادية .

٦ – فزع الدول الأوروبية والصناعية من حرب البترول :

. . فلقد جنت اسرائيل على الدول التى تساندها نظرا لقرار الدول العربية بخفض انتاج البترول ورفع اسعاره ومنعه عن الدول التى تؤيد اسرائيل مما أوقع الدول الأوروبية والصناعية فى ازمة شديدة حتى ظهر شبح المجاعة البترولية وبوادر الاضطراب فى شتى مرافق الحياة ولهذا سارعت بعض الدول الى اعلان براءتها من مساعدة اسرائيل ، بينما اقبلت دول تعرض على العرب ضمانات ومشروعات اكثر امانا وربحا – كما فعلت اليابان – كما حاولت بعض الدول تعميم

الأزمة ودعوة الدول الأوروبية للبحث عن حلول قبل مجيء الشتاء واستفحال خطر نضوب مالديها من احتياطي البترول وتعذر الحصول عليه مستقبلا . .

وهكذا توالت المشكلات على عدد من الدول الغربية والصناعية كأنما دهمها زلزال يهز أركانها ويهدد مستقبل شعوبها اذا لم تتوقف اسرائيل عن عدوانها ، ولم تتم تسوية عادلة لأزمة الشرق الأوسط بدلا من دفع العالم عاجلا أو آجلا الى هوة الصدام والدمار والهمجية .

التطورات الفنية فى الحروب العصرية

كانت اراضي سيناء وهضبة الجولان ، فى خلال حرب اكتوبر ٧٣ بمثابة حقول تجارب واختبارات واسعة المدى للأسلحة ومعدات وتكتيكات الحرب الحديثة أو القادمة . .

وكان القتال الصعب الذى اشتد أواره بين القوات البرية والجوية والبحرية بمثابة أحدث بيان عملى واقعى لاستخدام الاسلحة والعتاد الحربي الحديث والذى لم يستخدم من قبل وكذلك الاتجاهات الاستراتيجية وفنون التكتيك فى هذا العصر .

وقد عنيت مراكز الدراسات الاستراتيجية والخبراء والقادة السياسيون والعسكريون بمتابعة مجريات الحرب واحداث القتال ودراستها وتحليلها بغية استخلاص الحقائق والدروس المستفادة ، وقال الخبراء :

- إن حرب اكتوبر غيرت الكثير من النظريات
- انه ستحدث اعادة نظر شاملة فى الاسلحة والمعدات والخطط .

ولقد اشتملت حرب اكتوبر على مفاجآت كثيرة منذ لحظة نشوبها سواء فيما يتعلق بالسرية والمفاجأة وغيرها من مبادىء الحرب أو استخدام اسلحة وذخيرة مبتكرة أو تكتيكات لم يسبق ممارستها ، مما اكد ان طبيعة الحرب قد تغيرت فى سنة ٧٣ عنها فى سنة ٦٧ كما انها ايضا قطعت شوطا بعيدا متطورا عما كانت عليه الحال فى معارك الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)

وفى مقدمة الحقائق المثيرة التى اظهرتها حرب اكتوبر :

١ ـ استخدام الاقمار الصناعية فى الاستطلاع :

استخدم كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية الأقمار الصناعية للحصول على معلومات من فوق ميادين الحشد والتحرك والمعركة ، وثبت لدى الجانبين ان الاقمار الصناعية اصبحت أجدى وأدق وسائل الاستطلاع .

وقد اطلق الاتحاد السوفيتى ٥ أقمار صناعية طراز (كوزموس) بدأ ارسالها قبيل نشوب المعارك ثم توالى ارسالها تباعا لرصد مجريات الحرب ومتابعة اطوار القتال ونقل صورة حقيقية للمعارك التكتيكية ، وخاصة معارك الدبابات .

ويزن القمر الصناعى السوفيتى نحو ٥ آلاف رطل ، ويبقى فى مداره ٦ أيام يرسل خلالها المعلومات من الفضاء باللاسلكى والتليفزيون ، ولذلك كانت الدوائر السوفيتية المعنية تحصل على افلام ـ كل يومين ـ تصور التفاصيل فى جبهات القتال ، وتأتى بمعلومات عن تحركات البحرية الامريكية وجهود الأمريكيين فى ارسال الاسلحة والمعدات لتعويض اسرائيل عن خسائرها .

كذلك اطلقت الولايات المتحدة قمرا صناعيا من طراز (جينا) يرسل افلامه فى كبسولات تلقى الى الأرض أو المحيط حيث تلتقط فى مواقع سقوطها وترسل للفحص عن المعلومات العسكرية والتكتيكية الخاصة بالقوات فى البر والبحر والجو وتحركات قوافل الامدادات وانتشار القطع البحرية .

٢ ـ مبادىء الحرب مازالت قائمة رغم تطور الاسلحة واساليب القتال :

فى مقدمة دروس حرب اكتوبر ان مبادىء الحرب ـ التى اقتنصها نابليون بونابرت من حروبه وحروب السابقين قد أثبتت صدقها عبر السنين وفى شتى الحروب وكانت حرب اكتوبر قد بدأت باستخدام مبدأ المفاجأة بما ابداه الجانب المصرى من تحفظ وكتمان وسرية بحيث بدأت الحرب فى وقت وبأسلوب وعلى مسافات لم تكن فى حسبان العدو وتقديراته .

كان الهجوم المصرى والسورى فى آن معا وبطريقة مفاجئة مما لم تتوقعه اجهزة المخابرات وجهات المتابعة على المستوى الدولى ، بل لم تكن اسرائيل تتصور ان فى امكان مصر أو سوريا قدرة على الحرب . . وخاصة بالنسبة لعبور قناة السويس الذى كان بمثابة عملية انتحارية محكوم عليها بالاخفاق التام والموت الزؤام !

وكانت المفاجأة استخدام المصريين لأسلحة حديثة معقدة وذات كفاءة عالية ، من اهمها الصاروخ ارض جو سام ٦ الذى قضى على اسطورة التفوق الجوى او سيادة الطيران الاسرائيلى على ساحات المعارك .

بل ان معدات العبور من الكبارى والزوارق وتأمين اقامتها وسلامة تحركات الجنود ومعاملة الحائط الرملى وانشاء رءوس الكبارى على الضفة الشرقية وغير

ذلك من الأعمال الجريئة فى مواقع يسيطر عليها العدو بالنظرة المجردة والاسلحة المتحفزة والنيران الكثيفة . . كل ذلك كان متعذرا على مصر من وجهة نظر القيادة الاسرائيلية ولذلك وقعت المفاجأة أو توالت المفاجآت .

لقد تحقق استخدام مبدأ المفاجأة رغم نشاط وكفاءة اجهزة الرقابة والمخابرات فى عديد من الدول ، وكان الظن الغالب ان مصر بعد كارثة ٦٧ لن تقوى على معاودة القتال ماديا ومعنويا . . كما أن حرب الاستنزاف طال مداها ، ثم ان القوتين العظميين قد صرحتا باتفاقهما على الهدوء والاسترخاء فى الشرق الأوسط أى مواصلة وقف اطلاق النار وتهدئة الموقف والرضا بواقع الحال ! ؟ واقصى ماجاء بفكر جهات التحرى وأجهزة الاستخبار ان مصر تقوم بمناورات ذكية لمجرد تهدئة مشاعر ضباطها ومراضاة شعبها دون أن تحاول الاقدام على خوض الحرب .

ولقد لقى وزير خارجية الولايات المتحدة باللائمة على أجهزة المخابرات الاسرائيلية والامريكية التى اخفقت فى كشف الاستعدادات المصرية ، وقد صرح كيسنجر فى مؤتمر صحفى عقده يوم ١٣ اكتوبر ان وكالات المخابرات قد طلب اليها ثلاث مرات ـ فى الاسبوع السابق لنشوب القتال ـ اجراء تقييم للموقف ، وانها انتهت من دراستها وتحرياتها الى ان « القتال امر غير محتمل الى درجة انه ليس هناك أدنى فرصة تسمح به ! ؟

وهكذا اثبتت اجهزة المخابرات ـ فى أعتى وأقدر معاقلها ـ اخفاقها فى أشد الاوقات الحرجة بسبب سرية الخطط العربية .

أما فى اسرائيل فكان الهدوء مخيما على اجهزة مخابراتها ودولاب حربها اعتقادا منها ان العرب لايمكن ان يقدموا على حرب وان القناة لايمكن عبورها تحت اعين ونيران المواقع الحاكمة وان خط بارليف لايمكن اقتحامه بل يتعذر الوصول اليه وان سلاح الجو الاسرائيلى هو سيد المعركة وصاحب القول الفصل فى اى قتال يمكن حدوثه .

وانه لما يدعو للتقدير والفخار ان خطط حرب اكتوبر قد اعدت ونفذت تحت ستار كثيف من السرية سواء فى اتفاق التيارات السياسية أو تجهيز الجيوش أو ساعة الصفر أو مكان واسلوب بدء العمليات .

ومن ثم فقد اجمعت دوائر الخبرة العسكرية ان حرب اكتوبر كانت مفاجأة للجميع

كذلك استخدمت القوات المصرية مبدأ « خفة الحركة » ، فان السرعة التى تم بها عبور قناة السويس ـ بناء على استعدادات وافرة ووسائل مبتكرة وتجارب واقعية ـ وكذلك فتح ثغرات فى الحائط الرملى وسرعة اقامة رءوس كبار على الضفة الشرقية والاسراع فى اجتياح خط بارليف . . كل هذا العمل الجرىء المتواصل قد نم عن استعداد واسع المدى وسرعة مبهرة وتطبيق سليم لهذا المبدأ من مبادىء الحرب .

وكذلك استخدمت القوات المصرية مبدأ ثالثا من مبادىء الحرب وهو « الوقاية » ـ أى سلامة الاجراءات ـ بل انه كان بمثابة اساس التحرك الحربى منذ بدايته بطلعات الطائرات ثم تحريك الصواريخ الى الامام ثم حماية تقدم القوات حتى عبرت .

وهكذا انتصر الاستخدام الجيد لمبادىء الحرب التى تحقق الفوز للجانب الذى يحسن استخدامها . وقد نجحت الوقاية فى تنفيذ خطط القتال حتى تقدمت القوات بثبات وكفاءة قتالية وشرعت فى تدمير دفاعات خط بارليف .

ان مبادىء الحرب اثبتت وجودها واستمرار تأثيرها على مر الزمن وتوالى المعارك ومواصلة التجديد والتطوير فى الاسلحة والمعدات والوسائل الحربية .

٣ ـ الصواريخ هزمت الطائرات واحرزت السيادة على المعركة :

فى الماضى اعتمدت اسرائيل على تفوقها الجوى بطائراتها فى حرب ٦٧ ، وقد حققت ضربة مفاجئة بعدد كبير من الطائرات الحديثة المتفوقة . فدمرت الممرات فى خلال ساعات ودان لها جو المعركة ، وكان ميسورا بعد ذلك انطلاق قواتها البرية للتحرك الحر السريع فكسبت المعركة .

ويبدو انه قد استقر فى ذهن القيادة الاسرائيلية ان ضربة ٦٧ كانت نهائية ، وان طائراتها سوف تضمن لها النصر فى أية معركة مرتقبة وان النصر الساحق والخاطف قد أصبح اسلوبها بفضل قوة طيرانها .

ولهذا فانها قدرت ان يمر بخاطر المصريين محاولة لعبور القناة فسوف تكشفها مواقعها الحاكمة على الضفة الشرقية ثم تهب طائراتها للقضاء على أية قوات مصرية مهما بلغت كثافتها أو قوة تسليحها فى خلال ساعات محدودة .

وقد نشبت الحرب فجأة ، وعبرت القوات المصرية قناة السويس بسرعة لم تكن متوقعة ثم اجتاحت خط بارليف وضيعت على القوات الاسرائيلية فرصة التعرض

المباغت أو الهجوم المضاد الفورى . . لأن الطائرات المصرية قد سبقت فضربت المطارات الامامية ، ولأن حائط الصواريخ المصرية قد كفل للقوات التحرك فى حمايتها .

ان صاروخ سام ٦ (ارض /جو) الذى ينطلق من قاعدة متحركة كان فى مقدمة مفاجآت حرب اكتوبر . وقد اثبت فاعليته ضد الطائرات التى تحلق على ارتفاع منخفض كما ظهر خطره على طائرات (سكاى هوك) بصفة خاصة ، نظرا لافتقارها الى الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ .

كذلك اتجهت الطائرات المصرية الى مهام اخرى ـ غير توفير الحماية للقوات البرية التى تكفلت بها الصواريخ بكفاءة تامة ـ ومنها ضرب تجمعات العدو ومواصلاته وقواته الخاصة . . وطائراته .

وبالنسبة للطيران الاسرائيلى فإنه فقد ميزته التى انفرد بها فى حرب ٦٧ وهى المبادأة التى مهدت له ضرب المطارات وتدمير الطائرات فى مهابطها ، مما ادى الى سيادته على جو المعركة . . أما فى حرب اكتوبر فقد كانت المبادأة للطائرات المصرية الى جانب وسائل الدفاع الجوى التى ابطلت قدرته على التحكم وحالة دون حمايته للقوات البرية .

٤ ـ اثبتت المشاة ـ بأسلوب عصرى ـ انها مازالت « ملكة المعركة » لقد اكدت حرب اكتوبر اهمية الانسان المقاتل رغم التطور الهائل فى اسلحة ومعدات القتال ، وقد استطاع جندى المشاة المصرى ان يواجه الطائرة او الدبابة بسلاح خفيف يحمله على عاتقه ويصوبه نحوها بامعان فيسقط الطائرة او يدمر الدبابة .

فالمشاة هو اقدم اسلحة الحرب ، قبل ان يتحرك الجنود فى عربات ودبابات وطائرات ، فرجال المشاة هم الذين يحملون على العدو وهم على اقدامهم يحملون اسلحتهم بأيديهم ويواجهون الموت بلا حماية . . على مدى سبعة عشر قرنا من الزمان .

وقد حارب المشاة فى الماضى بالعصى والمدية والسيف والرمح قبل اختراع البارود ، ثم حاربوا بالبندقية والرشاش ومدافع الهاون وغيرها من الاسلحة الصغيرة التى تطورت من عصر الى عصر حتى اصبحت فى ايديهم الاسلحة المؤثرة فى المعركة ، ولم تفقد المشاة قيمتها فى حروب الطائرات والدبابات والمدفعية والصواريخ .

وقد شهد بذلك كبار القادة والخبراء ، ومنهم الجنرال « عمر برادلى » احد رؤساء الجيش الامريكى فى الحرب العالمية الثانية :

[ان كسب النصر فى اى حرب رهن بتدمير جيوش الاعداء . اى ان الملايين التى تشكل هذه الجيوش يكون مصيرها القتل أو الأسر . . وهذه هى جهود ونهايات جنود المشاة]

وقال الفيلد مارشال ويفل ـ احد القادة الانجليز ذوى الشهرة والكفاية ـ

[ان كافة المعارك يكسبها فى النهاية رجل المشاة . انه هو الذى يتحمل صدمات المعركة . . ونصيبه هو النصيب الأوفى من العرق والدم !]

وكان السؤال الذى ورد على اذهان مراقبى الحروب الحديثة :

هل تبقى المشاة ـ رغم تطورات الاسلحة والمركبات ـ ملكة المعركة ؟

وجاءت حرب اكتوبر بالرأى القاطع :

لقد استطاع الجندى المصرى المشاة بالماسورة التى يحملها على كتفه ان يسقط الطائرة او يدمر الدبابة بأعلى قدر من الكفاءة والبسالة .

وقالت وكالات الانباء القريبة من ميدان القتال ان جنود المشاة كان لهم الفضل الاسبق فى القضاء على مقدمات العدو بفضل الاسلحة الخفيفة والمتطورة التى يحملونها على اكتافهم ، وبفضل البسالة التى تجلت عندما أصبح القتال يدا بيد .

٥ ـ هل انتهى عصر سيادة الدبابة ؟

قد يتبادر للنظرة العاجلة أو للتفكير الطارىء ان معارك الدبابات الهائلة التى جرت على ثرى سيناء كانت هى المعول الرئيسى فى الحرب . .

والصحيح ان حرب اكتوبر شهدت اكبر معارك للدبابات فى التاريخ عددا وتسليحا . . غير انه اتضح تماما ان الدبابة توشك ان تلحق بمصير الحصان فى الحروب القديمة .

لقد اصطدمت الدبابة بالدبابة . ولكن ظهرت اسلحة حديثة خفيفة يحملها الجنود على اكتافهم تجعل الدبابة غير ذات موضوع رئيسى فى اتون المعركة .

ان الدبابة لم تعد حمايتها فى دروعها . وليس بمقدر المخططين للمعارك ان يوفروا للدبابات دائما الحماية الجوية . . ولم يعد ضروريا أن تواجه الدبابة بدبابة اخرى مادامت الاسلحة الخفيفة العصرية قادرة على تدمير الدبابات أو اصابة اطقمها . وهذا السلاح الصغير الجديد المضاد للدبابات هو اشبه بماسورة بها شحنة مدمرة يمكن للجندى المشاة اطلاقها من مكمنه فى الأرض او من عربة . . وقد نجح استخدام هذا الصاروخ المدمر فى حرب اكتوبر بنجاح .

كذلك فان صواريخ ارض / جو قضت الى حد كبير على الحماية الجوية للدبابات أو هى التى كانت ذات جدوى فى حرب الصحراء ومعارك العلمين وستالينجراد فى ابان الحرب العالمية الثانية .

أما اليوم فقد افتقدت الدبابات العون الجوى بسبب صواريخ ارض / جو ثم فقدت دروعها القدرة على احتمال صواريخ المشاة .

وهكذا بلغ تفوق المشاة غايته وانتهى عصر سيادة الدبابات على المعارك طوال نصف قرن من الزمان .

٦ ـ نجاح استخدام الطائرات الهليكوبتر :

ومن ظاهرات حرب اكتوبر استخدام الطائرات التصاعدية وثبوت فاعليتها فى الحرب الحديثة وقيامها بمهام قتالية متطورة .

وقد نجح استخدامها فى نقل القوات الخاصة خلف خطوط القتال ، والى المواقع الحاكمة التى يمثل الاستيلاء عليها نجاحا تكتيكيا ، وكذلك استخدمت فى ضرب تجمع العدو وعقد مواصلاته ومراكز تموينه ، وخاصة فى حالة فقدانه للسيطرة الجوية . . هذا فضلا عن دورها المأثور فى اخلاء الخسائر ونقل الجرحى .

٧ ـ الحرب الحديثة جاوزت قدرة الدولة الواحدة :

لقد ارتفعت تكاليف الحروب سواء فى ثمن الاسلحة والقذائف والمركبات أو تكاليف المواصلات أو تزويد الجيوش بحاجاتها الحيوية من المؤن والذخائر وقد صرح بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل بان حرب اكتوبر كلفت اسرائيل ١٧٠ الف دولار فى كل دقيقة !

ولن تستطيع دولة ان تشن حربا طويلة الأمد بتعدد الاسلحة والذخائر فى هذا العصر معتمدة على مواردها الخاصة وحدها مالم تكن على علاقة وثيقة بقوى اخرى تفرد لها جسرا من الامداد والتموين .

بل يمكن القول بان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما وحدهما القوتان القادرتان على شن الحروب ، ومن حسن حظ العالم ان حربهما مستحيلة لانها ستكون حربا نووية مدمرة للعالم كله .

وعلى أى حال فإن الدول المغامرة والطامعة قد دفعت دائما ثمن عدوانها وغرورها .

.. والدرس الذى تلقاه العالم من حرب اكتوبر هو انه :

- لاجدوى من استخدام القوة
- انتهى عهد القول المأثور فى الماضى : الويل للمغلوب والفرحة للمنتصر
- ان الحرب الحديثة تصيب الطرفين باضرار بالغة وتعوقهما عن مقتضيات التنمية والتطور .
- ان اية حرب لاتضمن للمنتصر انتصارا كاملا ومستمرا .. فالخسائر تقع على الطرفين والنار تنقلب دائما فتحرق مضرميها .
- كل الغزاة ـ بشهادة التاريخ تراجعوا عن الأراضى التى احتلوها مهما طال المدى وباءوا بالخزى والاخفاق .
- ان سياسة السلام هى الطريقة المثلى لاستقلال الشعوب وحريتها ورخائها .

الحقائق والدروس المستفادة من حرب أكتوبر

(١)
حقائق ودروس وطنية

تتلخص مشكلة الشرق الأوسط فى ان اسرائيل استخدمت القوة والاعتماد على الغير فى الاستيلاء على فلسطين واحتلال اراض عربية ومواصلة التهديد بالقوة والابقاء على التوتر الحالى كما انها ادارت ظهرها للحلول السلمية التى من شأنها ان يضمن كل شعب حقه فى التطور الحر والاستقلال والامن .

ولذلك فان قرارات هيئة الامم المتحدة ومجلس الأمن ومجموعة عدم الانحياز وتوصيات الدول الاوروبية ذهبت جميعها ادراج الرياح لأن اسرائيل لم تصغ لنداءات السلام ولم ترتض الانسحاب من الأراضى التى احتلتها ولم تسمح لجهود السلام ان تحقق غاياتها . . مما ابقى مشكلة الشرق الأوسط على حالها من التوتر واقترابها من الانفجار الذى قد يصيب العالم بأسره .

وعلى مر التاريخ فان مصر قد تعرضت لعمليات عدوان وغزو من دول شتى تطمع فى خيرات وادى النيل ، ومثلها مثل كل دولة اخرى ذاقت حلو الايام ومرها . . ولكن بلد الحضارة والتاريخ لاترضخ للعدوان ولاتستسلم للغزو فقد لفظت الاستعمار ونكلت بالغزاة واستعادت سيادتها الوطنية .

وقد وقفت مصر دائما ضد استخدام القوة لتحقيق توسع اقليمى أو تملك الأراضى عن طريق الحرب وعملت دائما وبمشاركة غيرها من الدول فى تفادى الازمات وضمان حرية وحرمة الكيان الوطنى وتوخى الصالح الدولى العام ومنذ نكسة ٦٧ عملت مصر على تضميد جراحها واصلاح ادواتها وتدريب وتسليح جيشها وخوض حرب الاستنزاف الى جانب سعيها المتواصل لايجاد حلول سلمية . . حتى اذا اضاعت اسرائيل كل سعى للسلام وأهملت كل دعوة للجلاء ، فقد حق على مصر ان تواجه التحدى وتدفع القوة بالقوة . .

ولم يكن ذلك ممكنا بغير استعداد واسع المدى يشمل الشعب والقوات المسلحة . . ان وطنية المصريين هى التى قاومت السقوط والاستسلام وهى التى اشعلت الحمية لرد العدوان وهى التى قررت عبور القناة وتحرير سيناء .

بسالة الشعب المصرى

النصر دائما للشعب الحر المناضل :

والحقيقة التى لا مراء فيها هى انه اذا قرر الشعب ان يقاتل دفاعا عن حريته وارضه وكرامته فلن يستطيع المعتدى ـ بالغا مابلغت قوته ـ ان يهزم كفاح الشعب أو يقهر ارادته .

فى اشق الظروف وفى اتعس المواقف لايقبل الشعب الحر المناضل ان يستسلم للهزيمة أو يرتضى الاحتلال .

وكثيرا ماحدثت الهزيمة فى الميدان ولكن الشعب لم يقهر وانما جمع صفوفه وتحركت جموعه فحمل عبء المعركة وافسد على العدو خططه وحرمه ثمرة انتصاره . . ثم قضى عليه بالتراجع والخذلان .

وفى كل مرة وقف الشعب فى وجه الغزاة والمغامرين فقد استطاع ان يعدل الموقف ويمحو الهزيمة ويحرر الأرض ويرفع علم الحق والحرية .

تلك هى شهادة التاريخ فى وقائع كثيرة وأزمنة مختلفة واقطار متعددة وظروف متنوعة .

النصر رهن بعزيمة الشعب :

وليس كسب معركة حربية بالأمر الفاصل فى مصير الشعوب ، وليست الهزيمة العسكرية بالطامة . . ولكن الطامة الكبرى هى استسلام الشعب وضياع ارادته ورب نصر اشرف منه الهزيمة !

والحقيقة التى ادركها شعب مصر ان اسرائيل قد احرزت نصرا واهيا ومؤقتا وانها لن تجنى من المغامرة التى اندفعت اليها سوى المزيد من الحقد والكراهية من الأمة العربية ومن جميع الشعوب الحرة .

ان اسرائيل لم تقترب من اهدافها وان كانت تحركت عشرات الاميال . ولكنها ازدادت بعدا . . اذا كانت اهداف اسرائيل هى الاستقرار والتعايش السلمى ـ

وستظل اسرائيل معايشة القلق والكراهية اذا هى استمرت فى اصرارها على احتلال اراض الغير ورفض تسوية سلمية عادلة .

وقد كانت المعركة من وجهة نظر الشعب المصرى - لاتخرج عن حدود تجربة شديدة الواقع وحادثة نكراء مما لم تسلم به أمة من الامم المسالمة . وليس فى التاريخ دولة عظمى لم تنفعل بالتجارب المضنية ولم تصطدم بالمحن والنكبات . . ولكن ذلك لايؤثر فى معدنها الاصيل ولايفت فى ارادتها الراسخة . . بل انها كثيرا ما تخرج من النكسة موفورة الصقل وافرة التجربة راسخة القدم شديدة المراس فالتضحية ضريبة النصر ، والدم ثمن الحرية والانتصار على الشدائد هو الذى يشرف الرجال .

ولقد اثبت الوعى القومى للشعب المصرى قدرته على تحمل المسئولية ومواجهة التحدى وخوض الاهوال وقهر المستحيل من اجل تحرير ارض الوطن واستعادة كرامته وحقه وحريته ومثله العليا فى الحياة لقد اعطى شعبنا - فى معركة اكتوبر جهدا غير محدود وقدم تضحيات غير محدودة . واستعاد ارضه وحريته وكرامته*.

٣ - الكفاءة القتالية للقوات المسلحة :

لم يكتف الاسرائيليون بعدوانهم الغادر واستيلائهم على الأرض بالقوة ورفضهم لأى محاولات لاجراء حل سلمى وانما امعنوا بضراوة فى حرب الدعاية مستخدمين وسائل واساليب وشعارات لكى يقضوا بالحرب النفسية على مالم يكونوا بالغيه باسلحة القتال بعد عدوان ٦٧ .

---

*(لابأس - والحديث حديث حرب - أن نستعير كلمات بليغة وشائقة - فى الاعتزاز بهذه الامة العظيمة . . جادت بها قريحة السياسى الاديب المرحوم مكرم عبيد باشا فى واحدة من المناسبات الوطنية :

مرحى لهذه الامة ، العريقة الجد ، الفتية الولد..
ربيبة المجد . . حليفة الابد
مرحى لأمة كلما ارادوا لها فناء اشتقت من عناصره خلودا أو انزلوا بها ظلما اتخذت من اعوانه جنودا .
أو استلانوا لها قناة ثبت الله اقدامها فبرزت اقوى يقينا وأصلب عودا.مرحى لامة تعبت الحوادث فى مرادها ، ونفدت الحيلة فى استعبادها .

وقد نجحت دعايات اسرائيل فى الايهام بان الجيش الاسرائيلى لايقهر ، وان خط بارليف مستحيل الاقتراب منه وانه اقوى من تحصينات ماجينو الفرنسية واستحكامات سيجفريد الالمانية ، فى الحرب العالمية الثانية .

ليس هذا فقط وانما اشاعوا واذاعو أن مصر لم يعد لديها القدرة على القتال وان الاحتلال مستمر حتى يوافق المصريون على شروط للصلح وللأمن ولكن النظرة العسكرية الصحيحة لما حدث سنة ٦٧ تؤكد ان المفاجأة كانت العامل الاساسى فى النكسة التى حلت بمصر لأن الضربة الأولى التى وجهتها القوات الجوية الاسرائيلية الى المطارات المصرية ونجاحها فى تدمير عدد كبير من الطائرات فى ممراتها قد حسمت الحرب فى خلال ساعات من بدئها . . أى لم تحدث حرب بين جيشين فى ميدان القتال ولكن حدثت ضربة مفاجئة وصدمة ادت الى ارتباك القيادة ـ غير الواعية ـ فحلت النكسة وتعذر رد العدوان .

وقد خسرت مصر فى ذلك اليوم الأغبر ٥ يونيو سنة ٦٧ ـ مايوازى ٨٠٪ من اسلحتها وعتادها الحربى ، وعددا كبيرا من الشهداء الابرار واضطرت الى اخلاء سيناء كلها .

ولكن النكسة لم تكن هزيمة نهائية واخلاء سيناء كان قضاء مؤقتا فالجيش استمر صامدا والشعب لم ينكس اعلامه ، وانما ارتفع فوق المحنة وثبت امام العاصفة . . وبقيت الأرادة المصرية أبعد من ان تنال وأمنع من ان تحتوى وكان اول بند من بنود العمل فى برنامج مصر بعد النكسة هو :

اعادة بناء القوات المسلحة

وقد اخذت مصر فى اعادة بناء قواتها المسلحة بكل ماتكلفته من مال وجهد ومعاناة وحرمان .

وتحقق امل مصر ، او حدثت المعجزة ، وتمكنت مصر من بناء جيش وطنى قوى شامخ وقوات عسكرية حربية وبحرية وجوية مزودة باحدث الاسلحة والمركبات والمعدات واشد ادوات الحرب الحديثة فتكا وضراوة .

واثبتت القوات المسلحة المصرية انها جديرة بتاريخ مصر وامجاد السلف وان لديها من الكفاءة القتالية ماتستعيد به ارضها المحتلة وتحقق به امل الشعب وثقة الامة العربية .

وفى الساعة الحاسمة انطلقت القوات المسلحة المصرية بطائراتها ودباباتها ومدافعها ومشاتها فقامت باخطر عملية عسكرية وهى عبور مانع قناة السويس تحت نظر العدو ونيرانه ـ ثم اجتاحت استحكامات بارليف . . ورفعت علم مصر على ثرى سيناء المخضبة بدماء الشهداء .

. . وقال الخبراء والمعقبون العسكريون :

ان طبيعة الحرب قد تغيرت . وان صفحة جديدة قد اضيفت لتاريخ الحروب .

ـ ٢ ـ
حقائق ودروس عسكرية

١ ـ ان ما أخذ بالقوة لايسترد إلا بالقوة :

لقد كانت حرب أكتوبر ـ من وجهة نظر مصر ـ حربا ذات هدف واحد محدد هو : استعادة الأرض المغتصبة ودفع اسرائيل لقبول وتنفيذ قرار مجلس الأمن لترسية سلم عادل ودائم فى اسرع وقت ممكن .

واذا كانت شئون عالمنا الحاضر مازالت تسير على محور القوة . . واذا كانت جهود ست سنوات مضنية من المحاولات السلمية راحت بلا جدوى . . فانه لم يعد من سبيل سوى استخدام القوة لاسترداد الحق وتثبيت السلام واحترام الاستقلال والسيادة الوطنية .

وعلى هذا فقد عملت مصر على استعادة بناء قواتها المسلحة وتزويدها بأقصى واحدث الاسلحة والمعدات ، وكان لها ماارادت فارتضت التحدى وأقدمت على الميدان وحققت نصر اكتوبر .

٢ ـ الهدف الرئيسى فى الحرب هو سحق ارادة العدو :

واذا كانت اسرائيل قد حققت بضربتها الجوية المفاجئة سنة ٦٧ الاستيلاء على سيناء الا انها فى الحقيقة لم تجن من المغامرة التى اندفعت فيها انتصارا حقيقيا ، أعنى املها فى تدمير الارادة المصرية واخضاعها لما تريده اسرائيل من توسع وأمن .

وقد جاءت حرب اكتوبر بهذا الدرس المعروف عن الهدف الرئيسى للحرب ، وهو ليس مجرد الانتصار فى عملية حربية أو الاستيلاء على مساحة شاسعة من الأرض . . وكل ذلك له نهاية مادامت ارادة الامة باقية وتصميمها على استعادة حقها قائم .

٣ ـ اهمية تطبيق مبادىء الحرب :

لقد تغيرت صورة المعركة ـ فى حرب اكتوبر ـ عن سابقاتها من الحروب العربية الاسرائيلية .

ومن ظاهرات حرب اكتوبر البارزة ان القيادة المصرية وعت تماما والتزمت جيدا استخدام مبادىء الحرب استخداما عمليا واقعيا ، فلم تتحول عنها ولم تغير من خططها مهما كانت المغريات أو المواقف الصعبة .

أما من ناحية اسرائيل فإنها سرعان مافقدت توازنها فى ساحة المعركة وقامت بتغيير واسع المدى فى قيادات اسلحتها وتشكيلاتها بل انها استدعت لمراكز القيادة المسئولين عددا من كبار الضباط السابقين الذين احيلوا الى التقاعد منذ سنوات .

كما انها غيرت وبدلت فى عملياتها الحربية حيث لم تكن لديهاخطة ثابتة للهجوم او الهجوم المضاد أو الدفاع فى المضايق . . وانما استعصت عليها المفاجأة واضطرتها الى عمليات مرتجلة كلفتها الكثير من الضحايا فى الافراد والمعدات .

وقد اجمع المراقبون الحربيون المحايدون على ان التوقيت المصرى للمعركة كان مفاجئا وان المعدات التى استخدمت فى عبور القناة كانت ذات افكار جديدة وأن كثيرا من الاسلحة المعقدة التى استخدمها الجنود المصريون لأول مرة قد احدثت اثارا بعيدا وحققت نجاحا باهرا .

وكان فى مقدمة الذين وقفوا على هذه الحقائق وزير خارجية الولايات المتحدة دكتور هنرى كيسنجر ـ وهو احد المسئولين ذوى الحذق والنظر الصائب ـ فقد صرح فى مؤتمر صحفى كان العالم يتابع انباءه :

ان كل تقارير المخابرات التى توفرت لدينا وكل تقارير المخابرات التى قدمتها لنا دول اجنبية ترى انه « ليس هناك احتمال نشوب حرب » ان الحكومة الاسرائيلية لم تعتقد ان هناك هجوما وشيكا . .)

وكتب المراسل الحربى الشهير توماس تيتشام :

(لقد واجهت اسرائيل كارثة تشبه بيرل هاربور)

وهو يقصد تلك المفاجأة الحربية الكبرى التى احدثها الهجوم اليابانى المفاجىء على الاسطول الأمريكى فى قاعدته بميناء « اللؤلؤ » فقضى على اغلب وحداته قضاء مبرحا .

ومثلما قدمنا فان القوات المسلحة المصرية قد استخدمت بنجاح فائق مبادىء الحرب التى تفتح ابواب النصر ـ كما سجلها التاريخ ـ سواء فى تحديد ساعة الصفر أو طريقة عبور القناة أو الكبارى أو براعة العمليات التى قضت على مقاومة خط بارليف . . وخططت للاستيلاء عليه فى خلال ساعات محدودة .



الملاحق

١ ـ يوميات حرب اكتوبر
٢ ـ يوميات السلام
٣ ـ قرارات مجلس الأمن
٤ ـ قرارات مؤتمر الجزائر

(ملحق رقم ١)
يوميات حرب اكتوبر

السبت ٦ أكتوبر :
عبرت القوات المسلحة المصرية قناة السويس واستولت على خط بارليف ورفعت العلم المصرى على ثرى سيناء .

الاحد ٧ اكتوبر :
واصلت القوات المصرية تدفقها عبر القناة بوحداتها الرئيسية من الدبابات والمدفعية والمشاة . وهى تحتفظ بالمفاجأة وحرية الحركة ودعم المكاسب التى احرزتها .

الاثنين ٨ اكتوبر :
قامت القوات الاسرائيلية بهجمات مضادة تصدت لها القوات المصرية وافقدتها ٣٠ طائرة و ٣٢ دبابة وعددا كبيرا من الضباط والجنود الذين وقعوا فى الأسر .

الثلاثاء ٩ اكتوبر :
- بدأت معارك الدبابات واشتدت ضراوتها .
- ونجحت القوات المصرية فى تحرير مدينة القنطرة .

الاربعاء ١٠ اكتوبر :
- استمرت معارك الدبابات تشتد عنفا .
- اعلنت الحكومة الاسرائيلية عن تغيير عدد من قواد العمليات بآخرين من الضباط المتقاعدين .

الخميس ١١ اكتوبر :
- دارت على ثرى سيناء اكبر معارك للدبابات فى العصر الحديث .
- اغارت الطائرات الاسرائيلية على دلتا مصر واصابت مدينة بورسعيد بخسائر فادحة .

ـ اعلنت اسرائيل ان خسائرها الحربية خلال الأيام الخمسة الأولى تضمنت :
١٢٠ طائرة ـ ٤٠٠ دبابة ـ ٣٠٠٠ قتيل ـ ٢٠٠ أسير ١٥ الف جريح ـ ٣٠٪ من طائراتها الفانتوم
وصرح الجنرال ياريف مساعد رئيس الأركان الاسرائيلى ان خسائر اسرائيل المادية خلال الخمسة الأيام المنقضية بلغت ١٩٢٠ مليون دولار .

الجمعة ١٢ أكتوبر :

استمرت معارك الدبابات بجسارة وتضحيات جسيمة من الطرفين . وقد غطت الدبابات المحطمة واشلاء القتلى ارض المعركة .

السبت ١٣ اكتوبر :

ـ انضمت قوات اردنية وقوات عراقية وقوات مغربية لمعاونة القوات السورية فى جبهة الجولان .
ـ قررت الولايات المتحدة الامريكية الاسراع فى تعويض اسرائيل عن جميع الخسائر التى تكبدتها فى الطائرات والدبابات والذخيرة .

الاحد ١٤ أكتوبر :

ـ اعلن الجنرال ديان انه مسئول ـ كوزير دفاع ـ عما حدث للقوات الاسرائيلية
ـ اعلنت اسرائيل عن مصرع الجنرال ابرهام مندلر قائد سلاح المدرعات فى اثناء القتال .

الاثنين ١٥ أكتوبر :

ـ بلغت معركة الدبابات ذروتها وتابعت القوات الاسرائيلية هجماتها المضادة
ـ اخذت الطائرات والذخائر ترد الى اسرائيل من الولايات المتحدة لتعويض خسائرها ـ عبر جسر جوى .

الثلاثاء ١٦ أكتوبر :

ـ استمرت معركة الدبابات واشتد التراشق بالمدفعية بين الطرفين
ـ اعلنت اسرائيل انها خسرت ثلث قواتها الجوية وثلث قواتها المدرعة فى العشرة ايام الأولى منذ حرب اكتوبر .
ـ استطاعت قوة اسرائيلية ان تخترق مواقع القوات المصرية وتفتح ثغرة عبرت منها القناة الى الشاطىء الغربى متجهة نحو مدينة السويس .

الأربعاء ١٧ اكتوبر :

تصدت وسائل الدفاع الجوى للطائرات الاسرائيلية المغيرة ، ودمرت ١٥ طائرة من بينها ثلاث طائرات هيلكوبتر

- استمر القتال على جانبى القناة

الخميس ١٨ اكتوبر :

- دارت المعارك العنيفة على طول المواجهة فى سيناء
- استمر تقدم قوات الثغرة التى احدثتها عملية العبور المضاد وتواصل القتال فى سيناء وعلى مشارف مدينة السويس .

الجمعة ١٩ اكتوبر :

- اظهرت الاحصاءات الرسمية ان عدد الدبابات التى اشتركت فى القتال من الجانبين اكثر مما جرى استخدامه فى معركة العلمين أو معركة ستالينجراد .
- صرح الجنرال ديان بان خسائر اسرائيل فى الاثنى عشر يوما الأولى منذ بدء المعركة يبلغ ٨٢٥٠ مليون دولار .

السبت ٢٠ أكتوبر :

- استمرت المعركة فى سيناء بأقصى مايملكه الجانبان
- استمر القتال بضراوة أمام مدينة السويس .

الاحد ٢١ أكتوبر :

- استمرت المعارك الشاملة بجميع اسلحة القتال على جانبى القناة
- وقعت معركة بحرية اسفرت عن تدمير زورقين اسرائيليين
- صدت البحرية المصرية محاولات للضفادع البشرية الاسرائيلية
- اصدر مجلس الامن قرارا بوقف اطلاق النار .

الاثنين ٢٢ أكتوبر :

استمر القتال على اشده حتى استجابت الحكومتان المصرية والاسرائيلية لقرار مجلس الامن بوقف اطلاق النار فى الساعة ١٨,٥٠ مساء اليوم .

ملحق رقم ٢

يوميات السلام

٢١ اكتوبر ٧٣ :
تقدمت الحكومتان الامريكية والسوفيتية بمشروع قرار لمجلس الأمن بوقف اطلاق النار فى الشرق الأوسط .

٢٢ أكتوبر ٧٣ :
اصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٨ بوقف اطلاق النار وتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ٦٧ بجميع تفاصيله واستجابت الحكومتان المصرية والاسرائيلية لقرار المجلس وتم وقف اطلاق النار فى تمام الساعة ١٨,٥٢ (توقيت القاهرة)

٢٣ أكتوبر ٧٣ :
اصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٣٩ بوقف اطلاق النار ، وارسال مراقبين من هيئة الأمم المتحدة لضمان تنفيذه ، مع عودة قوات الطرفين الى المراكز التى كانت تحتلها لحظة سريان القرار الأول (٣٣٨) الساعة ٦,٥٢ مساء ٢٢ اكتوبر .

١١ نوفمبر ٧٣ :
تم توقيع اتفاق (الكيلومتر ١٠١ طريق السويس القاهرة) بين الجانبين المصرى والاسرائيلى لوقف الحرب وتحديد مواقع القوات .

٢١ ديسمبر ٧٣ :
افتتاح (مؤتمر السلام) فى مدينة جنيف بسويسرا ، برياسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى واشتراك مصر والأردن واسرائيل والولايات المتحدة فى المباحثات (رفضت سوريا حضور المؤتمر) .

١٧ يناير ٧٤ :
توقيع اول اتفاق بين مصر واسرائيل لفك الاشتباك وفصل القوات (اسوان) .

٣١ مايو ٧٤ :

توقيع اول اتفاق بين سوريا واسرائيل لفك الاشتباك وفصل القوات (جنيف) .

٤ سبتمبر ٧٥ :

توقيع الاتفاق الثانى للفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية .

١٩ نوفمبر ٧٧ :

« اعلان مبادرة السادات للسلام » امام الكنيسست الاسرائيلى .

١٧ سبتمبر ٧٩ :

توقيع اتفاق السلام بين مصر واسرائيل (البيت الابيض الأمريكى)

- اطار السلام فى الشرق الأوسط المتفق عليه فى كامب دافيد
- اطار لعقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل

٢٥ ابريل ٨٢ :

اتمام جلاء القوات الاسرائيلية عن سيناء .

(ملحق رقم ٣)

قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

(لسنة ١٩٦٧)

ان مجلس الأمن اذ يعرب عن قلقه المستمر للوضع الخطير فى الشرق الأوسط ويؤكد على عدم السماح بتملك الأراضى عن طريق الحرب وعلى الحاجة الى العمل من اجل سلام عادل ودائم تستطيع كل دولة فيه ان تعيش فى امن . ويؤكد بعد ذلك على ان كل الدول الاعضاء بقبولها لميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف طبقا للفقرة الثانية من الميثاق :

١ ـ يقر بان تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب اقرار سلم عادل ودائم فى الشرق الأوسط ويجب ان يتضمن تطبيق كل من المبدأين التاليين :

(أ) سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلت فى القتال الأخير

(ب) انهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب واحترام سيادة ووحدة اراضى كل دولة فى المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسى وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحرة من التهديد او اعمال القوة .

٢ ـ يؤكد الحاجة ايضا الى :

(ا) ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة .

(ب) ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح .

٣ ـ يتطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص للتوجه الى الشرق الأوسط كى يقيم ويجرى اتصالات مع الدول المعنية بغية ايجاد اتفاق ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا للنصوص والمبادىء الواردة فى مشروع هذا القرار .

قرار مجلس الامن ٣٣٨
(٢١ اكتوبر ١٩٧٣)

١ ـ يدعو مجلس الامن جميع الاطراف فى القتال الدائر الى وقف اطلاق النار والانهاء الفورى لكل نشاط عسكرى فى مدة لاتتجاوز ١٢ ساعة بعد لحظة اقرار المجلس لهذا القرار وذلك فى المواقع التى يحتلونها الآن .

٢ ـ يدعو مجلس الامن كل الاطراف المعنية الى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار فى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بجميع اجزائه .

٣ ـ يقرر مجلس الأمن أن تبدأ المفاوضات فورا . وفى وقت واحد مع وقف اطلاق النار ـ بين الاطراف المعنية وتحت الاشراف الملائم ـ بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

(تمت الموافقة على القرار فجر الاثنين ٢٢ أكتوبر ـ توقيت القاهرة)

قرار مجلس الامن ٣٣٩

(٢٣ أكتوبر ٧٣)

وافق مجلس الامن على مشروع قرار سوفيتى امريكى جديد يدعو الى وقف اطلاق النار فى الشرق الأوسط وارسال مراقبى الامم المتحدة لضمان تنفيذه . . مع عودة القوات الى المراكز التى كانت تحتلها لحظة سريان القرار الاول .

(الساعة ٦,٥٢ مساء ٢٢ اكتوبر)

ملحق رقم ٤

قرارات مؤتمر الجزائر

(٢٨ نوفمبر ١٩٧٣)

١ ـ ان المعركة مع العدو الاسرائيلى لم تنته باعلان وقف اطلاق النار لأن وقف اطلاق النار لايعنى السلام ، وان الوعود والمساومات والاجتماعات والمؤتمرات لاتحقق السلام . انما السلام الحقيقى هو التنفيذ العملى لقرارات مجلس الامن الدولى .

٢ ـ ان السلام العادل يقوم على شرطين :
ـ الانسحاب الكامل من كل الأراضى العربية المحتلة
ـ اعطاء شعب فلسطين حقه فى الأرض والاستقرار والاستقلال .

٣ ـ استخدام البترول العربى سلاحا فى المعركة حتى نهايتها ، والربط بين حظر تصدير البترول وبين تأييد الموقف العربى . .

٤ ـ تدعيم العلاقات العربية الافريقية باتخاذ خطوات عملية للتعاون الاقتصادى والمالى والثقافى مع دول افريقيا واستمرار تزويدها بالبترول .

٥ ـ قطع جميع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية مع جنوب افريقيا والبرتغال وروديسيا وحظر تصدير البترول العربى اليها .

البيان السياسى للمؤتمر

١ ـ ان الملوك والرؤساء العرب يؤكدون استعدادهم للمساهمة فى تحقيق سلام عادل على اساس مبدأين الانسحاب الكامل واستعادة حقوق شعب فلسطين .

٢ ـ ان الدول العربية مضطرة ـ اذا لم يتحقق السلام العادل ـ الى مواصلة معركة التحرير مهما طال امدها بكل الوسائل وفى مختلف الميادين .

٣ ـ إنه اذا كانت حرب اكتوبر قد أبرزت تصميم الامة العربية على تحرير أراضيها فإن وقف اطلاق النار لايعنى اطلاقا ان الكفاح قد توقف ، أوان البلاد العربية يمكن ان يفرض عليها حل لايتفق مع اهدافها العادلة .

٤ ـ إن وقف اطلاق النار الذى مضى عليه اكثر من شهر لايزال يصطدم بمناورات وتخريب الطرف الاسرائيلى ، كما تؤكد مواقف اسرائيل وتصرفاتها على الصعيد الدولى انها لم تتخل عن سياستها القديمة ولم تتراجع عن مطامعها .

٥ ـ ان السلام لايمكن تحقيقه الا بالوضوح الكامل وتجنب المناورة والخداع ، ولذلك يعلن الملوك والرؤساء ان أية مساعدات جدية وبناءة يجب ان تجرى فى هذا النطاق .

٦ ـ ان الامة العربية مصممة على اداء واجبها ومستعدة للمزيد من النضال والتضحية والفداء . . وعلى العالم ان يتحمل مسئولية التصدى للعدوان .

محتويات الكتاب

	صفحة
يوم العاشر من رمضان	٧
مفاجأة عبور القناة	٩
معارك ضارية واسلحة مروعة	١٧
وقف اطلاق النار	٣٥
وشهد شاهد من أهلها	٤٠
البترول العربى فى المعركة	٤٨
الزلزال الذى هز عواصم العالم	٥٥
التطورات الفنية فى الحروب العصرية .	٦١
الحقائق والدروس المستفادة من حرب اكتوبر	٦٩
الملاحق :	٧٧
١ ـ يوميات حرب اكتوبر	٧٨
٢ ـ يوميات السلام	٨١
٣ ـ قرارات مجلس الامن	٨٣
٤ ـ قرارات مؤتمر الجزائر	٨٥



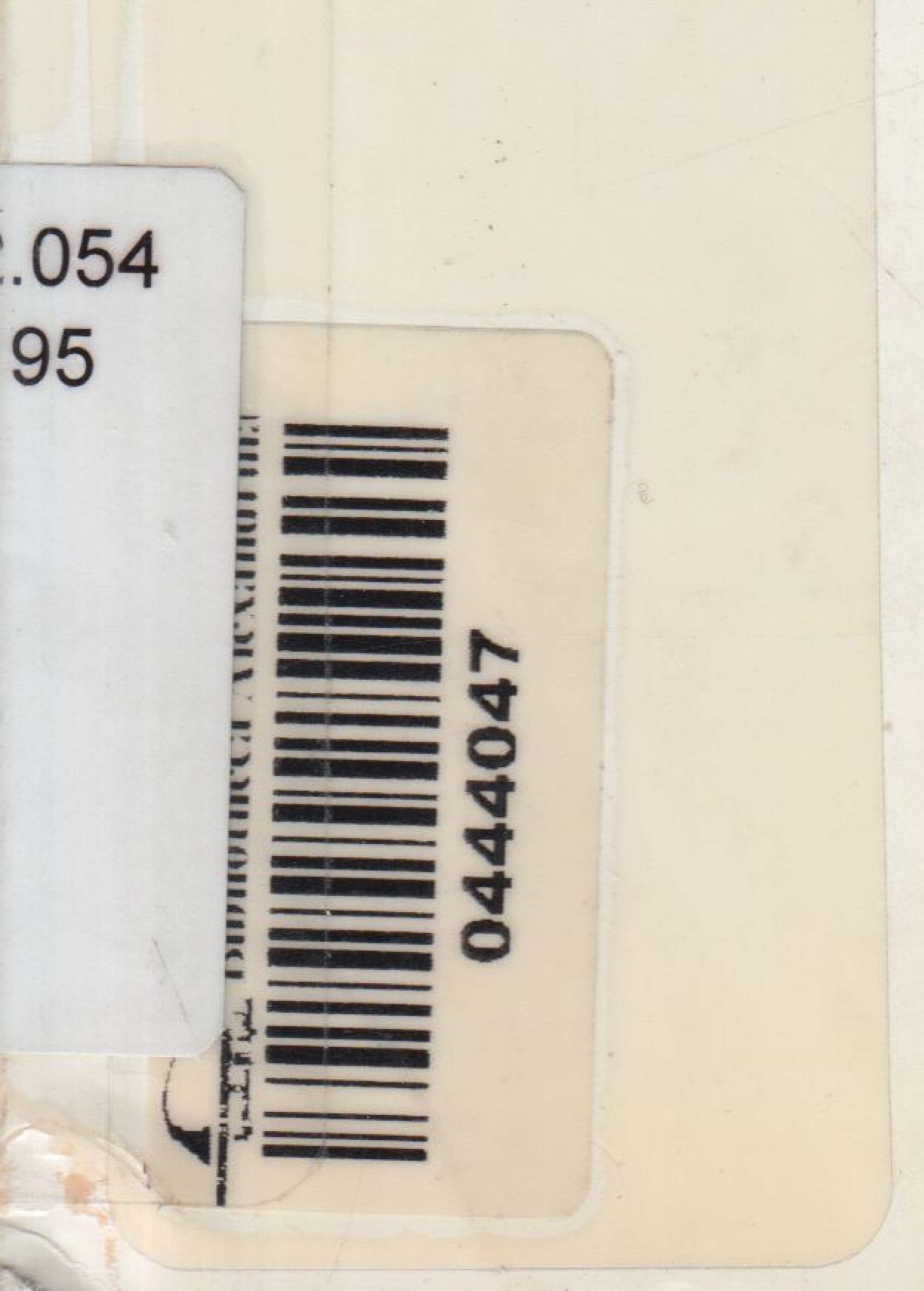
١٩٨٥

ماكيت : عبد الحليم أبو صبر
اشراف تنفيذى : عزت الليثى

الهيئة العامة للاستعلامات

مطابع الاهرام التجارية القاهرة ـ مصر





مطابع الأهرام التجارية القاهرة - مصر